بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین

كتاب عجايب شرح القلب للمصنف
شيخ الاسلام الامام الغزالي رحمه الله

[redacted]

كل من عليها فان
كل مركان

وفيه كذلك كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وكتاب ذم الغضب والحسد
وكتاب افة اللسان

لمحه الفقير الحاج محمود ابن الحاج محمد
سنه الف واربعه وستون

كتاب عجايب القلب

كتاب شرح عجايب القلب وكتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وكتاب رياضة النفس وكتاب افة اللسان وكتاب ذم الغضب والحسد
شيخ الاسلام الامام محمد الغزالي

وهو تصنيف الامام الغزالي

كتاب شرح عجايب القلب
وكتاب كسر الشهوتين شهوة
البطن وشهوة الفرج
وكتاب رياضة النفس
وكتاب افة اللسان
وكتاب ذم الغضب
والحسد للغزالي
رحمه الله
مولفه

وفيه كذلك كتاب كسر الشهوتين
شهوة البطن والفرج وكتاب رياضة
النفس وكتاب افة اللسان وما يحدث منه
وكتاب ذم الغضب والحسد

اوذعت في هذا الكتاب
شهادة ان لا اله الا
الله وان محمدا
رسول الله
صلى الله
عليه
وسلم

عجايب القلب
رياضة النفس
كسر الشهوتين
افة اللسان
ذم الغضب

اللسان ان سوالله في الذكر انطوي
وبه يروي غرابا من روي
ما لنا في النصر شي غيره
انه المطلوب في دين الهوي
كيف لا اتطلبه وهو الذي
بشرح القلق ويعطيه القوي
فاستفق يا ايها المعرض عن
حانه والمرء يحوي ما نوي
ان نويه الخير فيه نلته
او شفا من مرض كان الدوي

تمت

فايده قال الله تعالى حبب الي من دنياكم ثلاث اعانة المظلومين والملهوفين واجابة دعوة المظطرين

فايده
قال الله تعالى حبب الي من دنياكم ثلاث قلب شاكر ولسان ذاكر وشاب تايب وقال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاثة الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه حبب الي من دنياكم ثلاثة النظر اليك والانفاق عليك والجهاد بين يديك
قال عمر رضي الله عنه ثلاثة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة حدود الله
قال عثمان رضي الله عنه حبب الي من دنياكم ثلاثة افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام
قال علي رضي الله عنه حبب الي من دنياكم ثلاثة الضرب بالسيف والصوم بالصيف
واكرام الضيف

قال صلى الله عليه وسلم
تداركوا الغموم والهموم
بالصدقات يكشف الله تعالى
ضركم وينصركم
على عدوكم
ويثبت عند الشدائد
اقدامكم

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب شرح عجايب القلب

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في
مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السراير الضماير
المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب
وستار العيوب ومفرج الكروب والصلاة على محمد سيد المرسلين وجامع
شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى اله الطيبين الطاهرين اما بعد
فشرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة
الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الاخرة عدته وذخره
وانما المعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل
لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه
وانما الجوارح اتباع وخدم والات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك
للعبيد واستخدام الراعي للرعية والصانع للالة والقلب هو المقبول عند الله اذا
سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمخاطب
وهو المثاب وهو المعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح
اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع لله تعالى بالحقيقة
وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى
وانما الساري الى الاعضاء اثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه
اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه
عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه جهل ربه ومن
جهل ربه جهل قلبه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم
وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه
عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن
وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى
الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه

ويترصد

ويترصد ما يلوح من خزاين الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيهم نسوا الله
فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين
واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري
على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر
الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا
بد ان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة
القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر
الان من شرح عجايب القلوب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح
بعجايبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الاوهام

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي اعلم ان
هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بهذه
الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشؤها الجهل بمعرفة
هذه الاسامي وباشتراكها بين مسميات مختلفات ونحن الان نشرح من معاني
هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا **اللفظ الاول** لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين
احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي
باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد
الان شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق به الغرض الديني وانما يتعلق به غرض
الاطباء وهذا القلب موجود للبهايم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا القلب في
هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة
اذ تدركه البهايم بحاسة البصر فضلا عن الادميين والمعنى الثاني هو لطيفة
ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو
المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاقب وله علاقة
مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقه به يضاهي
تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة بالالة او تعلق
المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا

في هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح ولم يتكلم
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب
في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها
في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها ٥
اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم
لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الى سائر اجزاء البدن
وجريانه في البدن وفيضان انوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها يضاهي
فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير
به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته
في الباطن مثالها حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا الروح
ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه
اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان فاما غرض اطباء الدين المعالجين للقلوب
حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذا الروح اصلا والمعنى الثاني
هو اللطيفة الربانية العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معاني القلب
وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهذا امر عجيب
رباني تعجز اكثر العقول عن درك كنه حقيقته ٥ **اللفظ الثالث النفس** وهو ايضا
مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع
لقوة الغضب بين معاني ويتعلق بغرضنا معنيان احدهما والشهوة في الانسان على ما
سياتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات
المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله النبي صلى الله
عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك والمعنى الثاني وهي اللطيفة التي
ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة
بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات
سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فالنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان

واذا لم

واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة
لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة
وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة
بالسوء قال الله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد
بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني
محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبسائر المعلومات ٥ **اللفظ الرابع
العقل** وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من
جملتها معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم
الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به محل الادراك فيكون هو القلب اعني تلك
اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة
غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني
المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور
ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه لانه لا يمكن ان يكون الخطاب
معه وفي الخبر انه قيل له اقبل فاقبل وقيل له ادبر فادبر الحديث فاذا قد انكشف لك معاني
هذه الاسامي الموجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعقول وهذه
اربعة معان عليها الالفاظ الاربعة تحملها كلها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة
وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم الاختلاف في هذه الالفاظ وتواردها فتراهم
يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا
خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسامي فلاجل كشف الغطاء عنها
قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القران والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي
يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين
تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة
له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب كانه محلها ومملكتها وعالمها
ومجمعها ومطيتها الابدان ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي
فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن انه يرى انه عرش الله تعالى وكرسيه فان ذلك

انه

محال بل اراد به في مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي
بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك لا
يليق بغرضنا فلنتجاوزه بيان جنود القلب قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو
فلله سبحانه وتعالى في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها
وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا
وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود
في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند الباطن فاما جنده المشاهد بالعين فهو
اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها
خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب
لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة
تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخر الاعضاء والحواس
للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له
خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة
عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق وانما تطيع على سبيل لوامرها صح
التسخير ولا خبر لها من نفسها ولا من طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث
افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله تعالى وقطع المنازل
الى لقائه عز وجل فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وانما مركبه البدن وزاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود
منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى الله تعالى ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان
المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل
من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم
والبدن مركبه الذي به يصل الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن تعهد صح
بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه ويمنع منه اسباب
الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهي الاعضاء الجالبة للغذاء فخلق جلب صح
في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي آلات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات

٣

الى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل
الذي به يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج
الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لم ينفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو
ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها و
ذكرنا صح تفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا يحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف
تحصره صح يسير منه في كتاب الشكر فلنقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف باعث ومستحث
اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا
الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني
بالقدرة وهو جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو
المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والذوق والسمع وغيرها وهي مبثوثة
في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود
ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت آلات لهذه
الجنود فان قوة البطش انما هي بالاصابع وقوة البصر بالبصر انما هي بالعين وكذا سائر القوى
ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما
ايد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث هو المدرك من هذه الجملة وينقسم الى ما اسكن
المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل
باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينيه
معه صح فيدرك صورته ذلك الشيء في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو
الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه
ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس
مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله تعالى قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل
لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها
يطول صح ايضا باطنة فهذه اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء ومقصود
هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب
من الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم ان شاء الله تعالى ٥

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه على طريقه الذي
يسلكه وتحسن موافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي
وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي هو وصوله الى
سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سياتي شرحه وحقه ان
يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان
فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا
مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء
الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا
الى فهمك بثلاثة امثلة **المثال الاول** ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس
اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها
ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة كالمشير الناصح
والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له
كصاحب شرطته والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح
وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل ودأبه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير
يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في آرائه ساعة فكما ان الوالي في مملكته متى
استشار في تدبيراته بوزيره وكان معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل كان مستدلا باشارته
في ان الصواب في نقيض رايه وادب صاحب شرطته واسلمه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا
من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا
ومأمورا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه وكذلك النفس متى استعانت
بالعقل وادبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الاخرى تارة
بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها
بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن عدل
عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم
وقال واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وسياتي
كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس ان شاء الله

المثال الثاني ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة
من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه ورعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة
والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر
ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة
كما قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره
واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله عز وجل فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت
اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما روي في الخبر والى هذه
المجاهدة الاشارة بقوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **المثال الثالث** مثل
العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا
وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق
وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل
باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا عن ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس
مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا
شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه

بيان خاصية قلب الانسان

اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمي اذ للحيوان
الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم
عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله
عظم شرفه واستأهل القرب من الله سبحانه وتعالى وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم
بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه
في ذلك الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد
لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس
الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زائد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري
فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فانه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح
فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطي اسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة
وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعقل يريدها

ويهملها ويبذل المال عليها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه
زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف لعاقبة الامور ولم يخلق هذا
الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذا اختص قلب
الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها ساير الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة
وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة
في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم درجتان احداهما ان يشتمل قلبه على جملة العلوم
الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجايزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية
فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى
العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة
دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد والثانية ان يحصل له العلوم
المكتسبة بالتجارب والفكر وتكون كالمخزونة فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة
اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليها وهذه غاية درجة الانسانية ولكن
في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت فيها الخلق بكثرة المعلومات وقلتها وشرف المعلومات
وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادات والمكاشفة
ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيئة الحصول وفي هذا
المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء ودرجات الترقي فيه غير محصورة
اذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة النبي التي تنكشف له كل الحقايق او اكثرها من غير
اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله قربا بالمعنى
والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السايرين الى الله تعالى
ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه
من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن
بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين
حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل
وما اكتسبه من العلوم النظرية ولا يعرف هذا العاقل ما افتتح على اولياء الله وانبيائه من
مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود

والكرم

والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون به على احد ولكن انما يظهر في القلوب
المتعرضة لنفحات الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا
فتعرضوا لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق
المذمومة كما سياتي والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله سبحانه
كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله لقد طال شوق الابرار
الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا وبقوله من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا
وكل ذلك اشارة الى انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب فان القلوب كالاواني فاذا
كانت ممتلية بالماء لا يدخلها الهوى فالقلوب المشغولة بغير الله لا يدخلها المعرفة بجلال
الله والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم
لنظروا الى ملكوت السماوات ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة
واشرف انواع العلم هو العلم بالله وصفاته وافعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته
بجوار حضرة الكمال والجلال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان
وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في القوة على الحمل ويختص عنه بخاصية
الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطل منه نزل الى
حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الفرس والحمار في امور ويفارقهما في امور هي
خاصيته وتلك الخاصية هي من صفة الملائكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة
بين البهايم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس
ويتحرك فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما
خاصيته معرفة حقايق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على
العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلتحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا
كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل
كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهايم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضريا
ككلب او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كشيطان مريد
وما من عضو من الاعضاء ولا حس من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول
الى الله تعالى كما سياتي طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد

بيان

حسن خطاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الاخرة
مقره والدنيا طريقه والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو اعني المدرك منزله
من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في
مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة
الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري
الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه ويوكل كل واحد
باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم
الروائح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى
القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهو الحافظ
ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره
الذي هو بصدده ومنع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قطاع الطريق عليه فاذا فعل وقمع
ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله تعالى واذا عطل هذه الجملة واستعملها
في مراعاة اعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه
دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الاخرة كان مخذولا
شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله
فيستحق المقت والابعاد في المنقلب اعوذ بالله من ذلك والى المثال الذي ضربناه والمعاد
اشار كعب الاحبار قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه
قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك
طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه
في تمثيل القلب ان لله تعالى في ارضه انية وهي القلوب فاحبها الى الله تعالى ارقها واصفاها
واصلبها ثم فسره فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة فقال
الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
وقال ابي بن كعب معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى او كظلمات في بحر
لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن اسلم في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال
سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي

بيان مجامع اوصاف القلب وامثلته

اعلم

7

اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت
عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية و
الربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء
والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلط عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم
من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال الله تعالى
قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص
والاستبداد بالامور كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح
اذا نسب الى العلم ويحزن اذا قرن بالجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على
جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من
البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا
يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع
ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه
الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب
فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هي الشهوة فانه لم يكن
الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب
فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل
بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه
وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب
الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما
بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم هو الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع
كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق
الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة
ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته
فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل
على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرهما قهراه واستخدماه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق

والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها

[illegible] اشد الحرص [illegible]

المكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائماً في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما
كان أكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والعجيب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام
عبادتهم الحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله
كما يمثل للمكاشفين إما في النوم وإما في اليقظة لرأى نفسه ماثلاً بين يدي خنزير ساجداً
له مرة وراكعاً له أخرى ومنتظراً لإشارته وأمره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهوته
انبعث على الفور في خدمته وإحضار شهوته أو رأى نفسه ماثلاً بين يدي كلب عقور عابداً
له مطيعاً لما يقتضيه ويلتمسه مدققاً الفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو مع ذلك ساع في
مسرة شيطانه فإنه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه
يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته ونطقه وقيامه وقعوده وسكوته
ولينظر بعين البصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه إلا ساعياً طول النهار في عبادة هؤلاء
وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكاً والرب مربوباً والسيد عبداً والقاهر مقهوراً إذ
العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى
قلبه من طاعة هؤلاء صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعاً ورينا مهلكاً للقلب ومميتاً له أما
طاعة خنزير الشهوة فيصدر منه صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة وخمايع
والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فينتشر منها أي الأشياء
إلى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء
والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغير ذلك وأما طاعة الشيطان والجراة
بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والحيلة والخداع والدهاء والجربزة والتلبيس
والتضريب والغش والخب وأمثاله ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الربانية لاستقر والصفعة مع
في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على
ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم
وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة
ورده إلى حد الاعتدال صفة شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى
والانبساط وحسن الهيئة والحيا والظرف والمساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب والكرم مع
وقهرها وردها إلى الحد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال
او النجدة
والعفو

١

والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة وقد اكتنفته هذه
الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلة إلى القلب أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فإنها
تزيد مرآة القلب إشراقاً ونوراً وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة
الأمر المطلوب في الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد
خيراً جعل له واعظاً من قلبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه
من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن
القلوب وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال
يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوباً عن الله وهو الطبع الذي
قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى أن لو نشاء أصبناهم
بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط
السماع بالتقوى فقال فاتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب
طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة
ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها وإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار
دخل من أذن وخرج من أخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك
أولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب
بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران إذا أذنب العبد ذنباً نكتت
في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران
وقد قال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس
فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعصيته مسودة له فمن أقبل على المعاصي
اسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحى أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة
التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس فيها ثم تمسح فإنها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم
القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب
الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل
الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد
فأي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقد قال تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف

من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه
لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر
وهو الفوز بلقاء الله تعالى ○

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة ○

اعلم ان محل العلم هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع
الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فان
للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة
ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير
وحصول مثالها في المرآة غير وهي ثلاثة امور فكذلك هاهنا ثلاثة امور القلب وحقائق
الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما ان
القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد يسمى قبضا
فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا
ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف
بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في قلبه ولكن
الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة اولى لان عين الانسان لا يحصل في
المرآة وانما يحصل مثال مطابق له فكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى
علما وكما ان المرآة لا تنكشف فيها الصورة لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد
قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثه وصداه وكدورته وان كانت تامة الشكل والثالث
لكونها معدولا بها عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة والرابع الحجاب المرسل
بين المرآة والصورة والخامس الجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذي
بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان ينجلي فيها حقيقة الحق في الامور
كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة اولها نقصان في
ذاته كقلب الصبي فانه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم
على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته
وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لم يعد اليه ابدا اي حصلت
في قلبه كدورة لا يزال اثرها ابدا اذ غايته ان يتبعه بحسنة يمحوه ولو لم تتقدم السيئة لازداد لا محالة

اشراق القلب فلم يزده نورا وهذا خسران ونقصان لا حيلة فليس المرآة التي تدنس ثم تمسح
بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله عز وجل
والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصقله ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
والثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان
كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس يحاذي بمرآته شطر
المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا
يصرف فكره الى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر
فيه من دقائق الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها ومصالح المعيشة ان كان
متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما
ظنك فيمن صرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي والرابع
الحجاب فان المطيع القاهر لشهوته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف ذلك له لكونه
محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن يحول بينه و
بين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب
عظيم به حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات
والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين
درك الحقائق والخامس الجهل بالجهة التي يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس
يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها
في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطريق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب
فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة
العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه
مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان
من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وانسان بل من اصل مخصوص فكذلك كل
علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب
فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرنا من الجهل بالجهة التي الصورة

فيه بل مثاله ان يرقب الانسان مثلا ان يرى قفاه في المراة فانه ان رفع المراة بازاء وجهه لم
يكن قد حاذى به شطر القفا فلا يظهر فيه القفا فان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد
عدل بالمراة عن عينيه فلا يرى المراة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مراة اخرى ينصبها
وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المراتين حتى تنطبع
صورة القفا في المراة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المراة في المراة الاخرى التي في مقابلة
العين ثم يدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات
وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المراة فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق
الامور وكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر رباني شريف فارق به
جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصية تميز بها
عن السموات والارض بها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد
وقلب كل ادمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها
والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد
على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين
يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السموات والارض اشارة الى بعض هذه الاسباب
التي هي الحجاب بين القلب والملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر انه قيل يا رسول الله اين الله في الارض قال
في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب
عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر انه قيل من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل
وما مخموم القلب قال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك
قال عمر رضي الله عنه راى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه
وبين قلبه تجلت صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرضها السموات والارض اما جملتها
فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان
واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهو الاسرار الغائبة عن
مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه
ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله سبحانه لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة

السموات صح

والجبال صح

واحدة

واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود
شيء سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة
بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة
معرفته وبمقدار ما يتجلى له من الله سبحانه وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال
الجوارح تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاها ومراد تزكيتها حصول انوار الايمان
فيها اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث
مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض والثانية ايمان المتكلمين
وهو ممزوج بنوع استدلال والثالثة ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين
لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات الاولى
ان يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته بالقول فان قلبك يسكن اليه
ويطمئن به بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا
سن التمييز سمعوا من ابائهم وامهاتهم وجود الله سبحانه وتعالى وعلمه وارادته وقدرته و
سائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاؤوا به وكما سمعوا قبلوه وثبتوا عليه واطمانوا اليه
ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بابائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة
في الاخرة واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة
وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع من الاحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد
وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما يسمعونه من ابائهم الا انهم اعتقدوا خطا لانهم القي
اليهم الخطا والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق والدرجة
الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار
فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل
لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من يسمع
الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بان هذا صوت ذلك الشخص وهذا ايمان ممزوج
بدليل والخطا ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق
المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا

كلها صح

ودرجته قريبة من درجة ايمان العوام

يشهد صح

اليه صح

التبيين والمحاكاة غرضا والدرجة الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده
فهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين
لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية يستحيل
ان يكون معها الخطا نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما
الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له
ادراكه والاخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن
معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور
في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا
وبكرا او غير ذلك واخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال
القلب بالاضافة الى العلوم ٥ **بيان حال القلب** بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية
والدنياوية والاخراوية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق
ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة
والمكتسبة تنقسم الى دنياوية واخراوية اما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل
ولا يوخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا ندري من اين حصلت وكيف حصلت
كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشي الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا
معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى
حصلت ولا من اين حصلت له اعني انه لا يدري فيه سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله هو
الذي خلقه والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا
قال علي رضي الله عنه رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك
مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق
الله خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اذا
تقرب الناس الى الله تعالى بانواع البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية
ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال
العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين والقلب جار مجرى العين وغريزة
العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصر وان

كان

[في الهامش: ما يدل على ان الروح والقلب والنفس المدبر للبدن الانساني شي واحد تختلف اسمائه باختلاف صفاته]
[في الهامش: له هذا العلم]

كان قد غمض العينين او جن عليه الليل والعلم الحاصل منه فيه جار مجرى ادراك البصر ورويته لاعيان
الاشياء وتاخر العلوم عن عين العقل مدة الصبي الى اوان التمييز والبلوغ يضاهي تاخر الروية
عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي سطر الله به العلوم
على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان
لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا
لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله لا يشبه
قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا من خشب كما انه
تعالى ليس من جوهر ولا من عرض فالموازنة بين البصيرة والبصر الظاهر صحيحة من هذا الوجه
~~الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة والبصر الظاهر صحيحة من هذا الوجه الا انه لا~~
مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي
كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين
الى الاخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله باسمه فقال ما كذب الفواد ما راى
سمى ادراك الفواد روية وكذا قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
وما اراد به الروية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابرهيم صلوات الله وسلامه عليه حتى يذكر
في معرض الامتنان ولذلك سمي ضد ادراكه عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا
بيان العلم العقلي اما العلوم الدينية فهي الماخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله
عليهم وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما بعد
السماع وبه كمال صفة القلب وبه سلامتها عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة
القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل
يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه
ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا بالسمع عن العقل فالداعي الى
محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القران والسنة مغرور
فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم
الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها

[في الهامش: الباطنة صح — الباطنة صح — احدهم — صح]

الاخروية مستفادة من الشريعة وهي لطائف العبادات والاعمال التي دعا اليها الانبياء صلوات
الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم
العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة
للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل
هذا القائل ربما تناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض
في الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه لان م
خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل دار قوم فتعثر فيها باواني
الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقيل له تلك الاواني في
مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك
وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية واما العلوم العقلية فتنقسم
الى دنيوية واخروية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات فالدنياوية م
والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب خ
العلم وهما علمان متنافيان اعني من صرف همته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته متنافيان
عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان
وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احداهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس
في امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الآخرة والاكياس
في دقائق علوم الآخرة جهالا في اكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في
الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان اكثر اهل الجنة
البله في امور الدنيا وقال الحسن لقد ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين اي البله ع
فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن
قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب وكذلك يجري امر الدنيا والآخرة من م
ولذلك قال الله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها الآية وقال
تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد
يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من

القوة

القوة الالهية التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها فاما قلوب سائر الخلق فانها اذا شغلت
بامر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعليم

والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار اعلم ان العلوم التي ليست
ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه
ألقي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب
وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب
بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد كيف حصل له ومن اين حصل والى الذهن
ما يطلع معه على السبب الذي استفاد منه ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب
والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا ويختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء
والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب
مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة
التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش
بجميع ما قضى الله تعالى به الى يوم القيمة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي
انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وتارة يزول بهبوب ريح
تحركه وكذلك قد تهب رياح الالطاف فينكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في
اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف ما سيكون م
الغطاء وفي اليقظة ايضا قد يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء
ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية
الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة
زوال الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة
الملك المفيد للعلم فان العلم انما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة والى ذلك الاشارة بقوله تعالى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان ما يشاء م
ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه
المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات
المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي

لقلب عبده والمتكفل بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور في القلب
وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت
فيه حقائق الامور الالهية فليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة
الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة اذ الانبياء والاولياء
انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري
عن علائقها وتفريغ القلب عن شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له
وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان تنقطع علائق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه منها ويقطع عن همه
الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيه وجود
كل ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب
مجموع الهمة لا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد
ان لا يخطر بباله سوى ذكر الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع
حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر
في ذلك الى ان يمحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب الى ان يمحى عن القلب
صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه
وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار
في استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله
من رحمته كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت
مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ويكون
في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا
وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن
واحد ومنازل اولياء الله فيه لا تحصى تفاوت خلقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك
وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا
الطريق وامكانه وافضاءه الى هذا المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا
الطريق واستبطؤوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر
وان حصل في حال فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

همه صح
شيء
عليه صح
كما لا تحصى صح
واخلاقهم صح

١٤

في غليانها صح

قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر اذا استجمعت غليانا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل
ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم تشبثت بالقلب خيالات
فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول وينقضي العمر دون النجاح فيها فكم من صوفي
سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له
وجه التباس ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرار وانا ايضا ربما انتهى بالرياضة الى ذلك
ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور
على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من
تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء
فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك ○ **بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس**
اعلم ان عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما
ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفاء
بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق الماء اليه من
فوقه بانهار تفتح اليه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر
الماء الصافي فينفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر
فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمس مثل الانهار ويمكن ان تساق العلوم
الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن ان يسد عنه هذه
الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى
تتفجر ينابيع العلم من داخله فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم
ان هذا من عجائب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان
حقائق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين فكما ان المهندس يصور
ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض
كتب نسخة العالم من اوله الى آخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة
والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من نظر

الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك
تعليق ويقول صح
تدوم صح
فان قلت صح
يسطر صح

الى السماء والارض ثم يغمض عينيه فيرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر اليها
ولو انعدمت السماء والارض وبقي هو لوجد صورة السماء والارض في نفسه كانه يشاهدها — في نفسه ح
وينظر اليها ثم يتادى من خياله الى القلب فيحصل فيه حقايق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال — الشرح ح
فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا — والاصلح
من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان
للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبع
وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده
العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية
والروحانية بعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة الالهية اذ جعل
حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها ثم يسري — بحيث ح
من وجوده في الحس وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك لا تدرك ابدا الا ما هو — ابدا ح
واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر بما يباين ذاتك فسبحان من
دبر هذه العجايب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب
اكثر الخلق جاهلة بالقلب وعجايبه فلنرجع الى المقصود فنقول ان القلب يتصور ان يحصل
فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان
يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما — النظر اليه ح او المراة
ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس
من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات
كان ذلك حجابا عن مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع
ذلك من التفجر من الارض وكان من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس
الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملايكة
وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم
الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك
واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتامل
في عجايب الرويا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة

الحواس

الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل
ومن هم قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيمة خفافا ثم قال في وصفهم
حكاية عن الله تعالى اذ وصفهم اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شي اريد
اعطيه ثم قال اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل
هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الاولياء والانبياء وعلوم الحكماء والعلماء
ي — هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكماء ياتي
من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجايب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب
لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين ٥

المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين اعني عمل العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون
وتطهيره ح — في اكتساب نفس العلم واجتلابه الى القلوب واولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتصفيته
بين يدي ح — وتصقيله فقط وقد حكي ان اهل الصين واهل الروم تباهوا عند بعض الملوك بحسن صناعة
النقش والصور فاستقر راي الملك على ان يسلم اليهم صفة على ان ينقش اهل الصين منها
جانبا واهل الروم جانبا ويرخى بينهم ستر يمنع اطلاع كل فريق منهم على الاخر ففعل ذلك
فجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين ايضا من غير صبغ وجعلوا
يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين ايضا ان قد فرغوا فتعجب الملك
من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل كيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم
ارفعوا الحجاب فرفعوا الحجاب فاذا بجانبهم قد تلالات فيه عجايب الصنع الرومية
مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمراة المجلوة لكثرة الصقل فازداد حسن جانبهم بمزيد
الصقل فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلايه وتزكيته وصفايه حتى تتلالا فيه جلية الحق
بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها
في القلب كيفما كان الامر فقلب المومن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاوه لا يتكدر
البدن في الحس يتبدد في التراب لا ما كمل محل الايمان فيكون وسيلته المقربة الى الله تعالى اما
ما حصله من نفس العلم واما ما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم ولا سعادة
لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غني
وصاحب الخزاين المترعة غني وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت

درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون إلى
لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم وقد ورد
في الخبر أن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى أصغر منه حتى يكون
آخرهم رجلا يعطى نورا على إبهام قدمه فيضيء مرة ويطفئ مرة فإذا أضاء قدمه
مشى وإذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين
ومنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب
ومنهم من يمر كشد الفرس والذي يعطى نورا على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا
ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا
يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح وهذا يضاهي قول
القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فإيمان آحاد العوام نوره كنور السراج وبعضهم
نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء نوره كنور الشمس
وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق في اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج
إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة
الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من
في قلبه مثقال من إيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت
درجات الإيمان ثم إن هذه المقادير لا يمنع دخول النار وفي مفهومه أن من إيمانه يزيد على
مثقال فإنه لا يدخل النار إذ لو دخلها لأمر بإخراجه أولا وأن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق
الخلود في النار وإن دخلها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ليس شيء خيرا من ألف مثله
إلا الإنسان إشارة إلى تفضيل قلب العارف الموقن وأنه خير من قلب ألف من عوام الناس
وقد قال تعالى وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين تفضيل المؤمن على المسلم والمراد به المؤمن العارف
دون المقلد وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ويدل على
ذلك أن اسم المؤمن يقع على المقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن
عباس قوله تعالى والذين أوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المؤمنين بسبعمائة درجة
بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وقال النبي صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون
لذوي الألباب وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي

وفي رواية

وفي رواية كفضل القمر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد تتضح تفاوت درجات أهل الجنة بحسب
تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن إذ المحروم من رحمة الله عظيم
الغبن والخسران والمرحوم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كنظر
الغني الذي يملك عشرة دراهم إلى الغني الذي يملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكل واحد
منهما غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخس حظه منه والآخرة أكبر درجات
وأكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة

لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد اعلم أن من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام
والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك
من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد
لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات أما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق
الكشف والإلهام وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه
فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب
النار وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من الإشكالات والشبه ويرزقه
من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا أيها الذين
آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات
ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر في دعائه سؤال النور فقال اللهم أعطني نورا وزدني
نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال في شعري وبشري ولحمي ودمي وسئل صلى الله
عليه وسلم عن قول الله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح
فقال هو التوسعة إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم لابن
عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه
وسلم إلينا إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة
من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا إنه الفهم في كتاب الله وقال تعالى ففهمناها
سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان أبو الدرداء يقول المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر
رقيق والله إنه للحق يقذفه الله عز وجل في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض السلف

ظن المؤمن كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى
واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لايات للمؤمنين وقوله تعالى قد بينا الايات لقوم
يوقنون وروي الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في
القلب فذلك هو النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال سر من اسرار الله
تعالى يقذفه في قلوب احبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان من امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرا ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن
قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقران مصرح بان التقوى مفتاح
الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم قال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض
لايات لقوم يتقون خصصها بهم وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما
العالم الذي ياخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العلم الرباني
واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن
بعضه بواسطة تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني الذي ينفتح في سر
القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد في ذلك
من الايات والاثار والاخبار لخرج ذلك عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك
ايضا خارج عن الحصر وقد ظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال ابو بكر
رضي الله عنه لعائشة انما هما اختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف
قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنه في اثناء خطبته يا سارية الجبل اذ انكشف له
ان العدو اشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات
العظيمة وعن انس بن مالك قال دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه وكنت رايت امراة
في الطريق فنظرت اليها نظرا شديدا وتاملت محاسنها فلما دخلت عليه قال يدخل
علي احدكم واثر الزنا ظاهر في عينيه اما علمت ان زنا العين النظر لتتوبن او لاعزرنك
فقلت له اوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة
وعن ابي سعيد الخراز رضي الله عنه قال دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه خرقتان فقلت

في سري هذا واشباهه كل على الناس فناداني فقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه
فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني
فلم اره وقال ذكر ابن دلويه دخل ابو العباس بن سروق على ابي الفضل الهاشمي وهو
عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من اين ياكل هذا
الرجل قال فصاح بي يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله الطافا خفية وعن
احمد النقيب قال دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر قال كنت جالسا
فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد مني خاطري فقال بلى انك بخيل فقلت ما فتح اليوم علي بشيء الا
دفعته الى اول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب المؤنس الخادم ومعه
خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال فقمت فخرجت فاذا انا بفقير مكفوف
بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال اعطها المزين فقلت انها
دنانير فقال اوليس قلنا لك انك بخيل فناولتها المزين فقال المزين عادتنا اذا جلس الفقير
بين ايدينا ان لا ناخذ عليه اجرا قال فرميت الدنانير في الدجلة وقلت ما اعزك احد الا
اذله الله وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على ابي الخير التيناتي واعتقدت في
نفسي ان اسلم عليه ولا اكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقني وقد حمل طبقا
عليه طعام فقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات
وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلاة المغرب ولم يقرا الفاتحة مستويا
فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلمت خرجت للطهارة فقصد الي الاسد فعدت
اليه وقلت ان الاسد قصدني فخرج فصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني
فتنحى وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم
القلب فخافنا الاسد وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم
يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت
الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكايات لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من
نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران
احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانها ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا
يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها

بحصه

وسلم
المحسوسات وكم من مستيقظ غافل لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه
عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القران واذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره
اذ النبي صلى الله عليه وسلم عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى
نبيا بل يسمى وليا فمن امن بالانبياء وصدق بالرويا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب
بابين باب الى الخارج وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث
في الروع والوحي واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل يجوز
ان يكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم
الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامر في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة
بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب لا يليق ذلك الا بعلم
المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد
قال بعض المشايخ ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي
من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى فقلت
الستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذا اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون
على اسرار القلب وانما يطلعون على الظاهر وقال بعض العارفين سالت بعض الابدال عن مسالة
من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسالته
عن التفاته فقال لم يكن في المسالة عندي علم عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت
صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته فحدثني بما اجبتك فاذا هو
اعلم منهما وكان هذا هو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين وان منهم عمر وفي
الاثر ان الله سبحانه وتعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري
توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال ابو سليمان الداراني القلب
بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من
ابواب القلب الى جهة الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن
شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون
من المطيعين فانهم تنجلي لهم امور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على افواه الحكماء لا ينطقون
الا بما هياه الله سبحانه لهم من الحق وقال اخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان

(Margin: ذلك تالح — الاعمال ح)

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها اعلم ان
القلب كما ذكرناه في مثال قبة لها ابواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال
هدف تنصب اليه السهام من الجوانب او هو مثل مراة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة
فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه
وانما مداخل هذه الاثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن
فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل
اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبقوة في المزاج حصل
منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال
من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثر
دائما من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار
والاذكار واعني به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر
من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية
والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدا الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك
الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة
تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار
الاخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم
اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم كل حادث فلا بد له من سبب
ومهما اختلفت على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب
فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان السواد
الاستنارة فكذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى
ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيا القلب لقبول الهام
الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيا لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة
تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف
الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو
الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان

(Margin: الحوادث دل — غير سبب ح)

في مقابلة الخيرات واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين فان الموجودات كلها
متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها فالقلب
متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة
من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق
ونهي عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو
فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب
القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين
من اصابع الرحمن والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ان يكون له اصابع مركبة من لحم ودم وعظم
منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا
تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد فكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله
تعالى انما يفعل ما يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران لقدرته في تقليب القلوب
كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول اثار الملايكة
ولقبول اثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الاخر وانما يترجح احد الجانبين
باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة
والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو
مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملايكة
صار قلبه مستقر الملايكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع
وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون فيه
جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا
وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يامر الا بخير وانما كان هذا
لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث
ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما
غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضى الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله
ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين جندي الملايكة والشياطين
في معركة القلب دايم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا

واكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين وملكها فامتلات بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح
الاخرة ومبدا استيلايها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت
الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى فهو مطرح اثر الملايكة قال جابر
بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك
مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شي عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن
الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع
الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك يسلط عليه الشيطان وقد قال افرايت من اتخذ الهه
هواه واضله الله على علم اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله
وقال عمرو بن العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وبين قراءتي فقال ذلك
شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت
ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا
بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر شي ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر
انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شي سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون ايضا مجالا
للشيطان وذكر الله هو الذي يومن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشي الا
بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو
معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله وذلك لا يقدر عليه الا المتقون
الذين الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة
قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال
مجاهد في معنى قوله من شر الوسواس الخناس الذي هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله
خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ورسوله ووسوسة الشيطان
كالتطارد بين النور والظلمة وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان
فانساهم ذكر الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه
على قلب ابن ادم فان ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ
الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بوجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة
بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك

قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع
يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى
حكاية عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم ومن
ايمانهم وعن شمايلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم بطرق فقعد
له بطريق الاسلام فقال له اتسلم وتترك دينك ودين ابايك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق
الهجرة فقال له اتهاجر وتدع ارضك وسماك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد
فقال له تجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساوك ويقسم مالك فعصاه فجاهد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة
فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر فاذا الوسواس
معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور
ان ينفك عنه ادمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما من احد
الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان
والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف او ليس بجسم
وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الان غير محتاج اليه في علم المعاملة
بل مثال الباحث عن هذا كمثال من دخلت في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها
وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك
على سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل
بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليومن به ويحترز منه فقال عز وجل
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال الم
اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو
عن نفسه لا بالسوال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه وسلاح
الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة حقيقة ذاته وحقيقة الملايكة
فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في علم المعاملة الى معرفته نعم
ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم
انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او من لمة الشيطان

فان من

ادري صح

14

فان من مكايده ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان
لا يقدر على دعايهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر
الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة لعباد الله تنقذهم من
المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر
نعمة الله وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله الى الصراط المستقيم ولا يزال يستجره
بلطايف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ و
اظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال
يقرر ذلك وهو في اثنايه يوكد فيه شوايب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر
الى الخلق بعين الاحتقار فيهلك وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله ليويد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليويد هذا الدين بالرجل الفاجر
ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه الصلاة والسلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا
اقولها بقولك لان له تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها
يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون
لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور من اخر
هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه
قد انتشر الان تلبيسه في العباد والبلاد في المذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات
الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان يقف عند كل هم
يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع
ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون اي انكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه
بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه
هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال
ظنوها حسنات فاذا هي سيات واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد
الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بالعلوم التي تجر اليهم الوسواس
ويسلط عليهم الشيطان وينسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس

بالرجل الفاجر صح

ظاهرا صح

الا حفظ ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها من داخل ترك الشهوات وعلايق الدنيا
والخلوة في بيت مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من
الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل
القلب عن ذكر الله فلا بد من مجاهدة وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت ولا يتخلص احد
عن الشيطان مادام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن (الانسان صح)
لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة مادام الدم يجري في بدنه فانه مادام حيا فابواب الشيطان (الروح في جسده صح)
مفتوحة الى قلبه لا تغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سياتي
شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة
قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص للمؤمن
عنه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن
لينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال
قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور قلت له
ولم ذلك قال تذيبني بكتاب الله عز وجل واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشيطان وحفظها
بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون
في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسوها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ
والمشكل ان الابواب المفتوحة الى الشيطان كثيرة وباب الملائكة واحد وقد التبس ذلك الواحد (القلب صح)
بهذه الكثيرة فالعبد فيها مثل المسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك
في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة هاهنا
هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى (يوما صح)
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما يهتدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة غامضة
قال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل
الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وشماله فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو
اليه ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن
سبيله لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه
وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا

لطريقه

لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب
اهلها ان دواها عند الراهب فاتوا بها الى الراهب فلم يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت
عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس له في مقاربتها ولم يزل به حتى وقع عليها فحملت فوسوس (اليه وزين صح)
اليه وقال الآن تفتضح ويأتيك اهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان
اهلها فسألوه فقال ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي
القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج اسجد لي سجدتين فهو الذي قال الله عز وجل فيه كمثل
الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الآن الى حيله
واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة
وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم
عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا
يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من
حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ○ بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

(في الهامش: الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه فقال ماتت فالقى اليهم الشيطان انها مدفونة فنبشوا عليها فوجدوها مقتولة صح — فسجد له سجدتين صح)

اعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي
عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع
ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه فحماية القلب عن وسواس الشيطان
واجبة وهي فرض عين على كل عبد مكلف ومالا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب (ابتغاء)
ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان
واجبة ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب
العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه
العظيمة الحرص والحسد فمهما كان العبد حريصا على كل شيء اعماه حرصه واصمه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل
الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص
كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه الصلاة والسلام
لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما امر راى في السفينة شيخا لم يعرفه

فقال له نوح ما ادخلك قال دخلت لاصيد قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم
معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن
الناس وساحدثك منهن بثلاث ولا احدثك باثنين فاوحى الله الى نوح انه لا حاجة
لك بالثلاث مره يحدثك بالاثنين فقال نوح ما الاثنتان فقال هما لا يكذباني هما
لا يخلفاني بهما اهلك الناس الحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص
اصبت لادم الجنة كلها الا الشجرة التي عرفتها فوسوست اليه ومن ابوابه العظيمة
الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان
ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي
موسى صلوات الرحمن عليه فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك
تكليما وانا من خلق الله اذنبت واريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي يتوب علي
قال موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل فقيل يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى ابليس
فقال له امرت ان تسجد لقبر آدم عليه السلام فيتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد
له حيا فكيف اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت
لي الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان روحي
في قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف
فاني اتي ابن ادم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك
ان تجالس امراة ليست لك بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار
في هذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه
لادم من السجود ميتا هو من الحسد وهو من اعظم مداخله قال بعض الانبياء
لابليس باي شي تغلب ابن ادم قال اخذه عند الغضب وعند الهوى وطرق ابليس
لراهب فقال له اي اخلاق بني ادم اعون لك قال الحدة فان العبد اذا كان حديدا
قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن
ادم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه ٥
ومن ابوابه حب التزين في الثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا راى
ذلك غالبا على قلب ابن ادم باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها

وحيطانه وتوسيع ابنيته ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره
فاذا اوقعه في ذلك فقد استغنى عن معاودته فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال
يؤديه من شي الى شي الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع
الهوى ويخشى من ذلك سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ٥ ومن ابوابه
العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات
اسلحة الشيطان وروي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا صلوات الله وسلامه عليهما فرأى
عليه معاليق من كل شي فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات
التي اصيد بها بني آدم قال فهل لي فيها من شي قال ربما شبعت فشغلناك عن الصلاة وعن الذكر
قال هل غير ذلك قال لا فقال يحيى لله علي ان لا املا بطني من طعام ابدا فقال
له ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا ومن ابوابه العظيمة الطمع في الناس
فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب التصنع والتزين لمن طمع فيه
بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد
والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما
ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روي
صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال يا ابن حنظلة احفظ عني
شيا اعلمك قال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا فاقبله وان كان
شرا فرددت يا ابن حنظلة لا تسال احدا غير الله سوال رغبة وانظر كيف تكون اذا
غضبت ٥ ومن ابوابه العجلة وترك التثبت في الامور قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتاني من الله قال الله تبارك وتعالى وكان
الانسان عجولا وقال ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب
زدني علما وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج
الى تامل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان من حيث
لا يدري وروي انه لما ولد عيسى صلوات الرحمن عليه اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت
الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي
الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله

زجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا بحضرتها الا
هذا فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ايتوا بني ادم من قبل العجلة والخفة ٥
ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وساير اصناف الاموال من العروض والدواب
والعقار فكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه
قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه مائة شهوة
تحتاج كل واحدة منها الى مائة دينار فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان
قبل وجود المائة مستغنيا فالآن وجد مائة وظن انه صار بها غنيا وقد صار محتاجا الى
تسعمائة ليشتري بها دارا يعمرها ويشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شي
من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم
ولا آخر لها سواه. قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه
لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤا وقالوا ما ندري قال ابليس انا آتيكم
بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم فجعل يرسل شياطينه الى
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل
هولاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان
يفتح عليهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم وروي ان عيسى عليه الصلاة والسلام
توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورمى به
وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من
الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب
منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا
يخطر له ذلك ولا تتحرك رغبته في النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة
والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ومن ابوابه
البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار
والكنز والعذاب الاليم هو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن قال خيثمة بن عبد الرحمن
ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن ادم فلن يغلبني على ثلاث ان آمره ان ياخذ المال من
غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل

٢٢

خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء
ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشياطين ٥
وروي عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما انزل الى الارض قال يا رب
انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الاسواق
ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا
قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل
لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النسا ٥
ومن ابوابه التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين
الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس و
الاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا خيل
الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل
به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان
يرى الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول
والكذب ومتعاطي لانواع الفساد ولو رآه ابو بكر رضي الله عنه لكان اول عدو له اذ موالي
ابو بكر من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته رضي الله عنه
ان يضع في فيه حجرا ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فانى لهذا الفضولي ان يدعي ولاءه
وحبه ولا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي رضي الله عنه
وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ وترى
الفاسق لابسا لثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي ويدعيه
وهو اول خصمائه يوم القيمة وليت شعري من اخذ ولدا عزيزا لانسان وهو قرة عينه
وحياة قلبه فاخذ يضربه ويمزق ثيابه وينتف شعره ويقرضه بالمقراض وهو مع ذلك
يدعي حب ابيه وولاءه كيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي بكر
وعمر وعلي رضي الله عنهم وساير الصحابة من الاهل والولد بل من نفوسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع
هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون بها الى ابليس عدو الله وعدو
اوليائه فترى كيف يكون حالهم عند الصحابة وعند اولياء الله بل لو كشف الغطاء وعرف هولاء

يوم القيمة

ما يجب الصحابة من امة محمد صلى الله عليه وسلم لا يستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم مع نبيهم
انعلم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل
الى الآخر انه اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابنته
فاطمة وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا وهذا مثال اوردناه من جملة الاهواء
وهذا حكم المتعصبين للشافعي وابي حنيفة واحمد ومالك وغيرهم من الائمة فكل من ادعى
مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبي العمل دون
وكان الحديث باللسان
الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة والتي
هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت به الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا
مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المنابر لاقوام قل من الله
خوفهم وضعف في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم
ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم
على مكيدة الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا
مهمات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله يتوب علينا وعليهم قال الحسن بلغنا ان ابليس
قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا
يستغفرون الله منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب
التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان
نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود
قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم ويفرق بينهم فلم
يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس
اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم
وذلك مراد الشيطان منهم ومن ابوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم
يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم
في اصل الدين او يخيل اليهم في الله تعالى خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا او مبتدعا
وهو بذلك فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف
له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا

اشدهم

٢٣

اشدهم اتهاما لنفسه وظنه واحرصهم على السؤال من العلماء قالت عائشة رضي الله عنها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يأتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله فيقول من
خلق الله فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه فالنبي
صلى الله عليه وسلم لم يأمر في علاج الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون
بعباداتهم و ح
العلماء وانما حق العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بمعايشهم ويتركوا العلم الى العلماء فالعامي
لو زنا او سرق لكان خيرا له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم في العلم من غير اتقان العلم في الله
وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان
فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه
سوء الظن بالمسلمين ولذلك قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فمن
حكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في
القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه
وكل ذلك من المهلكات ومن اجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا
مواقع التهم حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احترز منها روي عن علي بن الحسين ان صفية
قالت ح
بنت حيي اخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فاتيته فحدثته عنده فلما
انصرفت قام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال انها صفية بنت
حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت
ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينهما فحرسهما وكيف اشفق
على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في
احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم لا ينظر
الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضى بعضهم وبعين السخط بعضا قال

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ° ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما
رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه
وانما يرى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم
الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردنا استقصاء جميعها لم نقدر

عليه وفي هذا القدر تنبيه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان
ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله وقول
الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب
من هذه الصفات المذمومة وذلك يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من هذا الكتاب
بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة الى كتاب منفرد على ما سياتي نعم اذا قلعت
من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار
ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا يتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب
بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث النفس لا سلطان له على
القلب ولا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من
الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون خصص ذلك بالمتقين فمثل الشيطان مثال
كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز فهو ينزجر بان تقول له اخسأ
ومجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم يهجم على اللحم ولم يندفع بمجرد القول فالقلب (في الهامش: خبز ولحم وهو جائع فانه صح)
الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة
الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب (في الهامش: الى صح)
المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فيطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة
عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليله قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم وسائر الآيات والاخبار الواردة في الذكر وقال ابو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان
الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث عار
فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك قال انا مع رجل اذا اكل سمى الله فاظل جائعا واذا شرب
سمى الله فاظل عطشان واذا ادهن سمى الله فاظل شعثا واذا لبس سمى الله فاظل عاريا
فقال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه
ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا
بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا
كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت
بينه وبين رحمتك انك على كل شيء قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع

هل عرفتني

هل عرفتني قال ومن انت قال انا ابليس فقال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة
ولا اعرض لك ابدا قال والله لا امنعها من اراده فاصنع ما شئت وعن
عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم
بين يديه وهو يصلي فيقرا ويتعوذ ولا يذهب فاتاه جبريل صلى الله عليه فقال له الا اعلمك
كلمات اذا قلتهن طفئت شعلته وانكب لمنخريه قال قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ذرا في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل
والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فطفئت شعلته وخر (في الهامش: فقال ذلك)
لوجهه وقال الحسن نبئت ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرا آية الكرسي وقال صلى
الله عليه وسلم لقد اتاني الشيطان فنازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى (في الهامش: ثم نازعني صح)
وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة اخي سليمان صلى الله عليه وسلم لاصبح طريحا وقال صلى الله (في الهامش: اخي صح)
عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غيره وهذا لان هذه القلوب مطهرة عن مرعى
الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر
كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة
بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه الدواء كما ينفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة
فالذكر دواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر
اندفع الشيطان عنه كما تندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه
فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مولاه وان ذكر الله (في الهامش: فقد)
بلسانه فان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر
عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر لنفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل
ان منتهى ذكرك وعباداتك وصلاتك فراقب قلبك اذا دخلت صلاتك كيف
يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك
في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك ولا يزدحم
الشياطين على قلبك الا اذا صليت فالصلاة محك القلوب فبها يظهر مساويها ومحاسنها ولا تقبل الصلاة

من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كالدواء قبل الاحتما يزيد عليك الضرر فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتما بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوا ولا يستجاب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب منك الشيطان لفقد شروط الذكر والدعا قيل لابراهيم بن ادهم ما لنا ندعوا فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم الله فلم تقوموا بحقه وقراتم القران فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب الله ورسوله وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطاتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وقدمتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم. فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال عن صفته كل البقل ولا تسال عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعوا اليه فاما طريق الاستبصار وشواهد الاخبار ويكفيك الذي ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شي من امره فذكر ثبر. والاعور. ومسوط. وداسم. وزلنبور. فاما ثبر فهو صاحب المصيبات الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية. واما الاعور فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه. واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم. واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين. وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء الولهان وقد ورد في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملايكة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملايكة واختصاص كل احد بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد قال تعالى ادعوني استجب لكم

سمعهم

عليهم

وكل بكل مومن مایة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصايف وما لو بدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغر فاه. وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين. وقال يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشون معهم. وقال جابر بن عبد الله ان ادم صلى الله عليه وسلم لما اهبط الى الارض قال رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال ابليس يا رب هذا العبد الذي كرمته علي ان لا تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا. وعن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهوى وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهايم قال الله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها الاية وصنف اجسادهم اجساد بني ادم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله. وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا فقال له اني انصحك قال لا اريد ذلك ولكن اخبرني عن بني ادم قال هم عندنا ثلاثة اصناف اما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شي ادركناه منه ثم نعود اليه ثم يعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن معه في عنا. واما الصنف الاخر فهم في ايدينا كالكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف شينا فقد كفونا انفسهم. واما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شي. فان قلت كيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا راى صورته فهي صورته الحقيقية او هو مثال يتمثل به وان كانت صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما لا يدرك حقيقة

لا اقوى عليه م

ولكن م

صورتها بمشاهدة انوار النبوة فقد راي النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في صورته
الا مرتين وذلك انه صلى الله عليه وسلم ساله ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحراء
فطلع له جبريل فسد الافق الى المغرب ورآه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة
المنتهى وانما كان يراه في صورة الادمي غالبا فكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان
رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفات في اليقظة وهو الذي
انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى
في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما روي عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سال
ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن ادم فراي في النوم جسد رجل يشبه
البلور يرى داخله من خارجه وراي الشيطان في صورة ضفدع قاعدا على منكبه
الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم رقيق طويل قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه
يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد
راه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعوا الناس اليها وكانت الجيفة
مثل الدنيا وهذا يجري مجرى صورته الحقيقية فان القلب لا بد ان يظهر فيه حقيقته
من الوجه الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجهه الذي يقابل به
عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل بالاخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه
الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في
الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كله
متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة
على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم
كثير التلبيس فاما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب
فلا تكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة
فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير
وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك
يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث ويدل الشاة على انسان سليم الجانب ق
هكذا ابواب التعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من المكاشفة عجائب علوم لا يليق ذكرها بعلوم المعاملة

من المشرق الى المغرب غالبا صح

مشاهدة

جانب صح

القلب صح

وانما

٢٧

وانما المقصود ان يصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق
التمثيل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو
مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون
من حواليه كالنائم. بيان ما يواخذ به العبد من وساوس القلب وهمها وخواطرها وقصودها
وما يعفى عنه ولا يواخذ به. اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت به اخبار وايات
متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
يحكيه عن ربه تعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة
فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين
وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ اخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب
وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المواخذة فقوله سبحانه وان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه يحاسبكم به الله وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل
اولئك كان عنه مسؤلا فدل على ان عمل الفواد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال عز وجل
ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم و
لكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في هذه المسالة لا نوقف عليه ما لم يقع الاحاطة بتفصيل
اعمال القلوب من مبدا ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب
الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امراة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها
والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهي حركة الشهوة في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول
ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي
ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه
حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتامل وهو على كل حال حكم من جهة
العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية
فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذه الهمة قد يكون لها مبدا ضعيف ولكن اذا اصغى
القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تاكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فربما ندم بعد الجزم

ما لم تتكلم به او تعمل به

وان تركها من اجلي فاكتبوها حسنة صح

وان عملها كتبت وفي لفظ اخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها ما لم يعملها صح

عندنا صح

له

فاذا انجزمت الارادة

فيترك العمل وربما يفعل لعارض ولا يتفق العمل وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل
فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد
ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وهو المراد بقوله صلى
الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في
النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما
روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا
ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام قال
نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم
قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سالت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم
على الفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون
اضطرارا لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان
تركه خوفا من الله عز وجل وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه بالمجاهدة
على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع العمل لله اشد من جده في موافقة
الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه على همه بالفعل
وان تعوق الفعل بعائق او تركه لعذر لا خوفا من الله كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب
اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال
ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراي وحيث قال
لم يعملها اراد به تركها لله تعالى فاما اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب او غفلة فكيف
تكتب له حسنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان
من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته
وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى
المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه
اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف
يظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم وكل ما دخل تحت قدرة العبد واختيار العبد فهو مؤاخذ به الا ان يكفره

بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت حسنة فاما فوات المراد بعائق فليس بحسنة واما
الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به
تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به
الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا
ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم
تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله سبحانه
الفرج بعد ذلك بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من — الاختيار
اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن
ان كل ما يجري على القلب حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد ان يغلط وكيف — يسمى
لا يؤاخذ باعمال القلب والكبر والعجب والريا والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلب بل
السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع
البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لانه مختار فكذلك
خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بان يؤاخذ به لانه الاصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى
ههنا واشار الى القلب ثم قال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال
صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب وقال صلى الله عليه وسلم البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك — وافتوك
حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطيا صار مثابا على فعله بل من ظن انه
متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له ثواب بفعله وان ترك ثم تذكر كان معاقبا — ثم تركه
ومن وجد على فراشه امراة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت اجنبية وان ظن انها
اجنبية عصى بوطئها وان كانت امراته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح ۝

بيان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا اعلم ان العلماء
المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسالة على خمس فرق فقالت
طائفة الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم قال فاذا ذكر الله خنس
والخنوس هو السكوت فكانه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون
له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمه
فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها

ايمان من يسقط عنه الثقل بالقلب وكانه يوسوس من بعد على ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر
في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة
وذلك كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك اذا ادرتها بسرعة رايت النقط دوائر بسرعة
تواصلها بالحركة فاستدل هولاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه
له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما
ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينيه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربع اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه
وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه
المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد الى صنف
واحد من الوسواس فاخبر عنه والوسواس ثلثة اصناف الصنف الاول ان يكون من جهة
التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم واللذات فان العمر طويل
والصبر عن الشهوات طول العمر عظيم فعند ذلك اذا ذكر العبد عظم حق الله وعظم ثوابه وعقابه
وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد
وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول له ليست النار
اشد من الصبر على المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه
عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب بعمله ويقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه
ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد حينئذ ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه
التي بها علمه وعمله كل ذلك من خلق الله فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول
ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسوسة ينقطع بالكلية
عن العارفين بنور الايمان والصنف الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها
وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا
خنس الشيطان عن تهييج يوثر في التحريك ولم يخنس عن التذكير وان كان مظنونا فربما يبقى موثرا
بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة ٥
والصنف الثالث ان يكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير الصلاة مثلا
فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور
ان

[Right-page margins: الله — ويقينه صح — بالله — غير]

ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين
من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية حتى لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشي من امر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه
فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب قد استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر
فانا نرى القلب المستوعب بعدو تاذى به وقد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه
بحيث لا يخطر له غيره وهذا المستهتر بالحب وقد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره
بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز احد بين يديه لكان كانه
لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف
النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الاخر فاذا تاملت جملة هذه
الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص ٥
وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه ابدا بعيد
وهو محال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب
وقال شغلني عن الصلاة وكان في يده خاتم ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرت
اليه ونظرت اليكم فكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز
الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه ولا تنقطع عروض وسوسة
الشيطان في الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيا وراء حاجته ولو دينارا واحدا
فلا يخليه الشيطان في صلاته من الفكرة في ديناره انه كيف يحفظه وفيم ذا ينفقه وكيف يخفيه
حتى لا يعلم وكيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوسواس فمن انشب مخالبه في الدنيا
وطمع ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال
فالدنيا باب عظيم لوسواس الشيطان وليس له باب واحد قال حكيم من الحكماء الشيطان ياتي
ابن ادم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره
بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه
عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه فيعجب
بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد الحاجة فانه اخر درجة ويعلم انه ان جاوزه افلت منه الى الجنة ٥

[Left-page margins: واستهتر صح — اذا لاح المستوفح في احد — عن كل شي — مخالبه — بل ابواب صح]

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات

اعلم ان القلب كما ذكرنا
يكتنفه الصفات التي ذكرناها وينصب اليه الاثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه
هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شي يتاثر به اصابه من جانب اخر ما يضاده
فتتغير صفته فان نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى التفت القلب اليه وان صرفه عنه
وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان اخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه ملك اخر
الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان
ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب
القلوب وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا اوتخاف
يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء
وفي لفظ اخر ان شاء الله ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب كل ساعة وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانها وقال صلى الله عليه وسلم القلب مثل
ريشة بارض فلاة يقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله في
تقلبها من حيث لا يهتدي اليه ولا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم
مع الله عز وجل والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى
وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق فتنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل
الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده
فينكشف بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل فينظر
الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار
المعرفة فيراه صالحا لان يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه
الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير
وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي
الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه

٢٩

شي من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا فلا يلتفت اليه
وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر
والشكر والخوف والرجا والخوف والزهد والمحبة والرضى والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة
وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله الا بذكر الله
تطمئن القلوب والمراد بقوله يا ايتها النفس المطمئنة والقلب الثاني قلب المخذول المشحون بالهوى
المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عنه
ابواب الملائكة ومبدا الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر الهوى ويهجس فيه فينظر الى حاكم العقل
ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر
على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر
بالهوى وتنبسط فيه ظلمات الانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان
الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي
بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين
لخوف الاخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملا جوانبه حتى ينطفي انواره فيصير
العقل كالعين التي ملا الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوات
بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان للتوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق
فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى
وظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا
القلب الاشارة بقوله عز وجل ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله عز وجل لقد حق القول
على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله عز وجل انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا
حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا راى وجها حسنا
لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط امساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه
والرياسة ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب
مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار
بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى

في القلب حتى يظلم ويطفئ فيه أنوار البصيرة ويطفئ فيه نور الحيا والمروة والايمان ويسعى في تحصيل
مراد الشيطان والقلب الثالث قلب يبتدئ فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر
الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع
والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها
بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان
حملة على العقل فيقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي
نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك ملاذ الدنيا
لهم يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان
اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم
الفلاني ليس يحترز من فعل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس الى الشيطان
وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع
بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم
النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب
النار لا يخففه عنك معصية غيرك ارايت لو كنت في يوم صائف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان
لك بيت بارد اكنت تساعد الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر
الشمس ولا تخالفهم خوفا من النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين
متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب
الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب
الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه ومساعدا لحزب الشيطان واعدائه وجرى
على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية
لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الاخرة بل مال الى حزب الله
تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن اي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام
مع حزب الملائكة او الشياطين فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب
الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف

تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له اسباب الطاعة ومن خلق للنار يسرت
له اسباب المعصية وسلط عليه اقران السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم
يغر الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر
طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة
ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول
الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله عز وجل وقدر فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ان ينصركم الله فلا
غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار
وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار واهل الجنة فقال
تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال هؤلاء في النار ولا ابالي وهؤلاء في
الجنة ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولنقتصر على هذا القدر
اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج
اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بذلك من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشور
عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق حقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية ومقنع ان شاء الله تعالى
تم كتاب شرح عجائب القلوب ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب رياضة النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب رياضة النفس

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان
بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين
الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص
عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلاة على
محمد عبده ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح انوار النبوة من بين اساريره
وتستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره
وعلى اله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة
الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا كثيره اما بعد فان الخلق
الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين

ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي
الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها
في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب المفتوحة من القلب الى نار الله الموقدة التي
تطلع على الافيدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار
الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد
واين منه المرض الذي لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج صح
للابدان وليس في مرضها الا فوت حياة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها عناية صح
فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب
عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت فيه العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق في معرفة عللها علم صح
واسبابها ثم الى تشمير في معالجتها على الجملة من غير تفصيل اصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله
تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دساها ونحن في هذا الكتاب
نشير الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل العلاج لخصوص الامراض
فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الان النظر الكلي في تهذيب الاخلاق
وتمهيد مناهجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك
بيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة
ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة
النفوس ثم بيان العلامات التي بها تعرف امراض القلوب ثم بيان الطريق الذي به يعرف
الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات
لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشوء ثم
بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا يجمع مقاصد الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم
وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القران قوله تعالى خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عن من ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى

اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه يا رسول الله صح
فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من
قبل شماله فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه فقال
ما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال
زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال
حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال صلى الله
عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير
فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في
الميزان الخلق الحسن والسخاء ولما خلق الله تعالى الايمان قال يا رب قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء
ولما خلق الله عز وجل الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا
دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي
المومنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس
باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل
وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله
خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس
وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء
يقول اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمرو قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر الدعاء يقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كرم المومن دينه ومروته عقله وحسن خلقه وعن اسامة بن شريك قال
شهدت الاعاريب يسالون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال حسن الخلق
وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وقال ابن
عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا تعتدن بشيء من عمله تعتدن صح
تقوى تحجزه عن معاصي الله او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم

في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف
عني سيئها الا انت • وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق
ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد • وقال صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء حسن الخلق • وقال
صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق • وعن انس قال قالت ام
حبيبة لرسول الله ارايت المراة يكون لها زوجان فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان عنده في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة
• وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته
وفي رواية ليدرك درجة الظمآن في الهواجر • وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء
حسن خلقه فادخله على الله عز وجل • وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن
خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة • وروي ان عمر استاذن على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته
فلما استاذن عمر تبادرن الحجاب ودخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر مم تضحك
اضحك الله سنك بابي انت وامي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت لهؤلاء اللاتي
كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر انت كنت احق ان يهبن يا رسول الله ثم
اقبل عليهن عمر رضي الله عنه فقال يا عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك
• وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح • وقال صلى الله
عليه وسلم ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك في جهنم ٥ **الآثار** قال ابن لقمان لابيه
يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال
فاذا كانت ثلاثة قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحياء وحسن
الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا
قال يا بني اذا اجتمعت فيه هذه الخصال الخمس فهو نقي تقي لله تعالى ولي ومن الشيطان بري • وقال
الحسن من ساء خلقه عذب نفسه • وقال انس ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير

عابد وانه ليبلغ بسوء خلقه اسفل درك في جهنم وهو عابد • وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق
كنوز الارزاق • وقال وهب بن منبه مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد
طينا • وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيئ الخلق
• وصحب ابن المبارك رجلا سيئ الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له
في ذلك فقال ابكي رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه • وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى
الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان • وقال
الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف • وقال عمر رضي الله عنه
خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال • وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها
كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات • وسئل ابن عباس ما الكرم فقال
ما بين الله في كتابه العزيز ان اكرمكم عند الله اتقاكم • قيل فما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم
حسبا • وقيل لكل بنيان اساس واساس الاسلام حسن الخلق • وقال ابن عطاء ما ارتفع
من ارتفع الا بحسن الخلق ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم واقرب الخلق الى
الله السالكون آثاره صلى الله عليه وسلم ٥ **بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق** اعلم
ان الناس تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته
ولم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمرته ما خطر له وكان حاضرا في ذهنه ولم
يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب
وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى واحتمال المؤن
وقال بعضهم ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا • وقال الواسطي مرة هو
ارضاء الخلق في السراء والضراء • وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله تعالى • وسئل سهل عن حسن
الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه
وقال مرة ان لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن الى الوفاء بما ضمن لك ويطيع ولا
يعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله تعالى وفيما بينك وبين الخلق • وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق
في ثلاث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع على العيال • وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك
جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق • وقال الخراز لا يكون لك هم غير الله فهذا وامثاله كثير وهو
تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى

خير سعادة المرء
يلغ
مم تضحك
بنيان
لحسن الخلق
وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال مرة كف الاذى
اليه وتصدق
هو ان

من تقدم انما ... بل المختلف فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن
الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة
وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد
منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد
المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره بالاضافة الى نفسه فقال اني خالق بشرا من طين فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فنبه به على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب
الى الله عز وجل والمراد بالنفس والروح في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر
عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها
الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر
منها افعالا قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان
من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت في نفسه
ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال
او السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فها هنا اربعة امور احدها
فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة في النفس بها
تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل
فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث
او لرياء وليس عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد
وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء
وليس عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة
عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد لان يصدر منها الامساك والبذل فالخلق اذا عبارة
عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين
دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الصورة الظاهرة فكذلك في الباطن اربعة
اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت
وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى
الثلاث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال

الصادر عنها احد ... (marginal note)

٤٤

وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال واذا صلحت هذه القوة حصل
منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها
على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني
اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهو في قوة ضبط الغضب والشهوة تحت اشارة العقل
والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارة
العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى
يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس
الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال
واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى
ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون البعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها
يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب
عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا
وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سميت شرها وان مالت الى النقصان سميت جمودا
والمحمود هو الوسط وهي الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات
فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها
عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص
باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل
ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطا في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل
حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في
الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل
في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول
الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن
وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها
تصدر الجربزة والخداع والمكر والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة

منزلة (marginal note)

والمكر الدهاء البله

التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شي دون شي والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده
صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما
المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل ايثاره واختياره فاسدا واما خلق الشجاعة
فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ
والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة. واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف
والبذخ والاستشاطة والكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة
وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخا والحيا والصبر
والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط
والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والريا والهتكة
والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنيا واستحقار الفقرا وغير ذلك فامهات
محاسن الاخلاق هذه الفضايل الاربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل
والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده
متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله بقدر قربه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا
يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جميع هذه الاخلاق كلها واتصف
باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد
فينبغي ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال وقد اشار القران الى هذه الاخلاق
في اوصاف المومنين فقال انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين
وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخا الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة
بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شروط العقل وحد الاعتدال
وقد وصف الله الصحابة فقال اشدا على الكفار رحما بينهم اشارة الى ان للشدة
موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة في كل حال فهذا بيان معنى الخلق
الحسن وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه والله سبحانه وتعالى اعلم

في سلوكه

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم ان بعض من غلبت عليه البطالة استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق
ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها واحتج
بان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة
الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يقدر ان يجعل نفسه قصيرا والقصير لا
يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى
والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا
ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير
فايدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول
لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل
الصيد من الاستيحاش الى الانس والكلب من شره الاكل الى التاديب والفرس من الجماح الى السلاسة وكل ذلك
تغيير الاخلاق والقول الكاشف للغطا عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل
للآدمي واختياره في اصله وتفصيله كالسما والكواكب بل اعضا البدن داخلا وخارجا وساير
اجزا الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا
ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان
النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلة ان انضاف اليها التربية ولا تصير تفاحا
اصلا الا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض
فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا
ولو اردنا سلاستهما وقهرهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بهذا وصار ذلك سبب نجاتنا
ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول
ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة
الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها
اقدم وجودا اذ الصبي في مبدا الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك
تخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا

صورة؛ ولا القبيح

واستيحاشها الحال

تصير

فيهما

او رضه والناس فيه على اربع مراتب الاولى هو ان الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل
والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته ايضا باتباع اللذات فهذا
سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة
فيحسن خلقه في اقرب زمان الثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح
بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة
عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ قد تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه
قلع ما رسخ في نفسه من كثرة الاعتياد للفساد والاخر ان يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح
ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم الثالثة ان يعتقد
في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل ونشا على ذلك فهذا يكاد
تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال والرابعة ان
يكون مع نشوه على الراي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك
النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل
من التعذيب تهذيب الذيب والاول من هولاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال فقط
والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر وهو قولهم
ان الادمي ما دام حيا فلا ينقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق
فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع الصفات بالكلية وهيهات فان
الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو
انقطعت شهوة الوقاع لهلك النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك
ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك
المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط
والتفريط والمطلوب من صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور والجبن جميعا وبالجملة
ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم
فوصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف
يقصد قطع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء صلوات الله عليهم لم ينفكوا عنهما قال صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن

وتربى عليها ع
عنه صح
لانقطع النسل ع
امتنع

يقول الاحمق كي لا يكون الغضب لا يخرجه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر العقل ولا يغلبه بل يكون
العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فربما يستولي الشهوة على الانسان
بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة يعود الى حد الاعتدال
فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على ان المطلوب
الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين التبذير والتقتير
وقد اثنى الله عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال
تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام
الاعتدال دون الشره والجمود قال تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى في الغضب
اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وهذا
له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله
تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط
القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال فلا يكون حريصا على امساكه ولا على
انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق وكان الحريص على الامساك
مصروف القلب الى الامساك وكان كمال القلب ان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن
ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا
حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخا حال بين التبذير والتقتير
والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي
قصد الامور ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان
يقبح عنده الغضب رأسا وامساك المال رأسا ولا يرخص له في شي منه لانه لو رخص له في ادنى شي اتخذ
ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه واذا قصد قطع الاصل وبالغ فيه
لم يتيسر له القدر الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يطلب قطع الاصل حتى يتيسر
له القدر المقصود ولا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه
بحق وان امساكه بحق ٥ بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت ان
حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها

واحد منهما
سابع
وتبغض للمفرغ
طرفي ح

معتدلين بين العقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث
يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين
منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعلم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
عليهما السلام وكذلك سائر الانبياء صلوات الله عليهم ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال
بالاكتساب فرب صبي يخلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه
بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه
الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني به حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب
فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجود وهو بذل
المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا ويتيسر عليه
فيصير جوادا وكذلك من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه ان
يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك
له خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته ان يصير
الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهية
والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود جميع العادات
الحسنة وتترك جميع العادات السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال
الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة
عيني في الصلاة ومهما كانت العبادة وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان
ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة
الى فعلها عن طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد
الله في الرضى فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة
على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون ذلك
على الدوام في جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم
عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله تعالى ولذلك كره الانبياء صلوات الله عليهم والاولياء
الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس
ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما يتاكد اثرها بكثرة المواظبة

على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى
فلا يكون شيء احب اليه من لقاء الله عز وجل فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله اليه
وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما الا على الوجه الذي يوصله الى الله سبحانه وذلك
بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به ومستلذا له ولا ينبغي ان يستبعد
مصير الصلاة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اعجب من
ذلك فانا نرى الملوك والمتنعمين في احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح
بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلب ماله وخرب
داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه وصرف نفسه اليه مدة
وكذلك اللاعب بالحمام يقف طول النهار في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمه لفرحه
بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من
الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه
وبقوته في الصبر على ذلك ويرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر
بما تعاطاه (او تعاطاه غيره) فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد
صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث
في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار
بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما
يجري بين الملوك والعلماء وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة
ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل
الى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى
هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس
ذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى
الطعام والشراب وهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات
غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن
انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببا
حياتها فكل قلب مال الى حب شيء سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا

النفوس
مديدة

احب ذلك الشي لكونه معيناً له على حب الله تعالى وعلى عبادته بعد ذلك لا يدل ذلك على المرض
فاذا عرفت بهذا قطعاً ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال
الصادرة عنها ابتدآ لتصير طبعاً انتها وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس
والبدن فان كل صفة تظهر في القلب فيفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة
وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور ويعرف ذلك
بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة صفة نفسية حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق
له الا ذلك الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة
وهو يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال (بسبب صح)
يواظب على ذلك حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الاخر الخط الحسن طبعاً
كما كان يصدر منه في الابتدآ تكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن كان (فعلهم)
اولاً بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انحط من النفس الى الجارحة فصار يكتب الخط
الحسن طبعاً وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء
وهو التكرار للفقه حتى ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس فكذلك
من اراد ان يصير سخياً عفيف النفس حليماً متواضعاً فيلزمه ان يتعاطى افعال هولا تكلفاً حتى يصير له ذلك (عفيفا صح)
بالعادة طبعاً ولا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة بتعطيل ليلة
ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها
بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة
المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد يدعو الى مثلها ثم يتداعى قليلاً قليلاً حتى تانس النفس بالكسل
وتهجر التحصيل راساً فيفوتها فضيلة الفقه فكذلك صغاير المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت
اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس اثره في النفس بل يظهر فقه
النفس شيئاً فشيئاً على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة لا يحس تاثيرها في
تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعات فان الجملة الكثيرة
منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فله
ثواب لا محالة فان الثواب بازآ الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة
وهكذا على التوالي ويسوف نفسه يوماً فيوماً الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغاير

نفسه

المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او يتراكم ظلمة الذنوب
على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل الشهوات ولا (الدنيا وهي صح)
يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من
بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً الاية ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو في القلب
نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله
وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سودآ كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل
النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة (تكون بالتطبع صح)
باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرنآ الخير
واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الخير والشر جميعاً فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث
حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلاً بالطبع واتفق
له قرنآ السوء فتعلم وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين
من اختلفت فيه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق

وقد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة
النفس وان الميل عن الاعتدال سقم ومرض في النفس كما ان الاعتدال في المزاج هو صحة له والميل
عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالاً فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذايل والاخلاق
الردية عنها وكسب الفضايل والاخلاق الجميلة لها مثال البدن وعلاجه بمحو العلل عنه وجلب
الصحة اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة بعوارض الاغذية والاهوية
والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلاً صحيحاً على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي
بالتعود والتعلم تكتسب الرذايل وكما ان البدن في الابتدآ لا يخلق كاملاً وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية
والغذا فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية
بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحاً فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضاً
فشانه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي
ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال (صفائها)
والصفا فينبغي ان تسعى لجلبه وكما ان العلة المغيرة البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها فان كانت من حرارة

بجلب ذلك اليها — لاعتدال صح

فالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج
مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه
لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال
مرارة المجاهدة والصبر لمداواة امراض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض
القلب والعياذ بالله عذاب يدوم ابد الاباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا
كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من
معيار يعرف به مقدار النافع منه فان لم يحفظ معياره زاد الفساد وكذلك النقائض التي يعالج
بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدواء ماخوذ من معيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج
العليل ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة
او قوية فاذا عرف ذلك التفت الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر
احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين
ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب
لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد لقتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من
الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وحاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه
من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه
اولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصية امره
اولا بتركها فاذا تزين بالعبادات ظاهره وتطهرت عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن
الاحوال ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه
منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان راى الرعونة والكبر وعزة النفس
غالبة عليه امره ان يخرج الى السوق للكدية والسؤال فان عزة الرياسة لا تنكسر الا بالذل
ولا ذل اعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه فان الكبر من امراض
المهلكة وكذلك الرعونة فان راى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب وراى قلبه مائلا الى ذلك
فرحا ملتفتا اليه استخدمه في تعهد بيت الخلاء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ
ومواضع الدخان حتى يتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون
المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار ولا فرق

بعد الموت

الى باطنه

بين

بين ان يعبد الانسان نفسه وبين ان يعبد صنما فمهما عبد غير الله فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه
شيئا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة
ان المريد اذا كان لا يسخو بترك الرعونة راسا او بترك صفة اخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي
ان ينقله من الخلق المذموم الى مذموم اخر اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء
اذا كان الماء لا يزيل الدم وكذلك يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان ثم ينقل من اللعب بالكرة
والصولجان الى الترغيب بالزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه
ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الاخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه اخف
منه ما هو فيه وكذلك سائر الصفات وكذلك اذا راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل
الطعام اولا ثم يكلفه ان يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره ولا ياكل هو منها حتى يقوي بذلك
نفسه وتنكسر شهوته ونهمه وكذلك اذا راه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن النكاح
امره بالصوم وربما لا يسكن في ذلك شهوته فيامره ان يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز
دون الماء ويمنعه اللحم والادم راسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته ولا علاج في مبادي الارادة
انفع من الجوع وان راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه
سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود
نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستاجر من يشتمه على رؤوس الملا من الناس ويكلف
نفسه الصبر ويكظم الغيظ حتى صار الحلم له عادة بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في
نفسه الجبن وضعف القلب فاراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب
الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على هيئة واحدة انتصابا
وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كانت نفسه تكسل عن القيام فيقوم على راسه طول الليل ليسمح
نفسه بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورمى به في البحر اذ خاف
على نفسه من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الامثلة اصلحك الله يعرفك طريق
معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سياتي في بقية الكتب وانما الغرض الان
التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه ويميل اليه وقد جمع الله تعالى جميع
ذلك في كتابه في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى والاصل
المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة وقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك من الله ابتلاء

فالزم نفسه القيام

واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فان عود نفسه العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه
نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرنا في معاقبة النفس في كتاب المراقبة فاذا لم
تخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد بذلك الرياضة بالكلية ٥

بيان علامات امراض القلب وعلامات عوده الى الصحة

كان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق
له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها
البطش ومرض العينين ان يتعذر عليهما الابصار فكذلك مرض القلب ان يتعذر عليه فعله
الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ
بذكره وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة
وخاصية النفس التي للادمي ما يتميز به عن البهائم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار وغيرها
بل بمعرفة الاشياء على ما هي عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشياء هو
الله عز وجل فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله تعالى فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة
فمن عرف الله احبه وعلامة المحبة ان لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى
فمن احب اليه من الله تعالى ورسوله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز
والماء او سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة وهذه علامة المرض فبهذا يعرف ان القلوب
كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفه صاحبه ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه
فلذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح
وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى
المرض على الجميع والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا
واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها
عبادات وباطنها عادات ومراياة فهذه علامات اصل المرض واما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة
فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل وهو المهلك المبعد عن الله تعالى فانما علاجه
ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا داء فيكون كمن يعالج

البرودة

البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك
المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت
ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذ من
الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر
عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار
البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع
الى المواظبة على الامساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى
تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه
الا امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب
صار كذلك فقد اتى الله سليما عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق
حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها
غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية
مرضية داخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف
فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الاخرة وقلما ينفك
العبد عن ميل عن هذا الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا
بالجانب الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال
الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
اي الذين كان قربهم الى الصراط المستقيم اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل
عبد ان يدعو الله في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب قراءة الفاتحة
في كل ركعة وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني
سورة هود فلم قلت ذلك فقال لقوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك فالاستقامة
على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم
يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة
الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج كل واحد فيها على الترتيب

بيان الطريق التي يعرف بها الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله عز وجل اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه
واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم ولا يرون الجذع في
اعين انفسهم فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة طرق الاول ان يجلس
بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في
مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه واستاذه عيوب نفسه
ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان والطريق الثاني ان يطلب صديقا
صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما كره من اخلاقه وافعاله
وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين وكان عمر رضي الله عنه
يقول رحم الله امرا اهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك
عني مما تكرهه فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك
حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما
وكان يسال حذيفة ويقول له انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي
شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان اوفر عقلا
واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء
من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في
اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض
عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا اصنع باقوام
يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل
الامر في امثالنا الى ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا يكون مفصحا عن ضعف
الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا
عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا بذلك واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما نكاية العقرب
على البدن ولا يدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الردية على صميم القلب ويخشى ان تدوم بعد الموت
ابدا او آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة
الناصح بمثل مقالته فنقول له وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه

يرون القذى في عين غيرهم

وجوده

آثار

يكاد

ويشبه

ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان
فنسال الله عز وجل ان يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام
بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه الطريق الثالث ان يستفيد عيوب نفسه
من السنة اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن
يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه
الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع
بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم والطريق الرابع ان يخالط
الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه
به وينسبه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع
متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن اصله او عن اعظم
منه او عن شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا
فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب وقيل لعيسى عليه الصلاة
والسلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من
فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه
مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي
يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده **بيان شواهد النقل من
ارباب البصائر** وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات
وان مادة امراضها هو اتباع الشهوات **اعلم** ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار
انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان عجزت
عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد
فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال
الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة
الشهوات هو الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع
على ما ذكرناه من اعوان الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي
يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى

نفسه

ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
قيل نزع منها حب الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد
مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه تبين ان النفس
عدو منازع ينبغي ان يجاهد ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود
حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني
محجوبة وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس وقال صلى الله
عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك
عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله عز وجل اذا تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك
بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا اشد من
نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا مع ابناء الدنيا والملوك
تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار تحبسين الا
يا نفس الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك
وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة
اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع
الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة
الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد
شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام
وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد
وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها
في سائر الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية
لطيفة نورية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس
الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة
دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس

لقوم ع

بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها
محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد اجتمعت العلماء
والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح
بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب ما زيد على الخبز فهو شهوة
وقال وهيب بن الورد من احب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى ان امراة العزيز
قالت ليوسف عليه الصلاة والسلام بعد ما ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة
صير الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صير العبيد ملوكا فقال يوسف يقول الله تعالى
انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى
وردي فتعذرت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق
فلما احس بي قال يا ابا القاسم الي الساعة قلت يا سيدي من غير موعد قال بلى سألت
محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس
دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه فقال اسمعي فقد اجبتك بهذا سبع
مرات فابيت الا ان تسمعيه من الجنيد قال فانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي
اليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز
متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال
علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار
يطوف في الاسواق فاذا راى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا
لكرامتك علي فاذا قد اتفق العلماء والحكماء على ان لا طريق الى سعادة الآخرة
الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما تفصيل ما يترك من
الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس
بشيء مما لا يوجد معها في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس
والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به
والفه فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الآخرة بحال
ولا خلاص عن ذلك الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله سبحانه وحبه والتفكر فيه
ذلك وينقطع من الدنيا عن ما يتوقع منه عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة

فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت

بقطع

فليعتبر بهذا الناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات
المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات
مدة مديدة والثاني من استغرقت الدنيا قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث حديث
النفس حيث يذكره باللسان فهو من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين
ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لابد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة
ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا
يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة بقوة ذكر الله في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده
وان كان ذكر الدنيا اغلب على قلبه وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب
البعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا راس كل خطيئة والمباح الخارج
عن الحاجة في الدنيا وسياتي ذكر ذلك في ذم الدنيا قال ابرهيم الخواص كنت في جبل اللكام
فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت
الرمان فرايت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك
السلام يا ابرهيم فقلت وكيف عرفتني فقال من عرف الله لا يخفى عليه شي فقلت ارى لك
حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله فلو سالته
ان يحميك من شهوة الرمان فان لذع الرمان يجد الانسان المه في الاخرة ولذع الزنابير يجد المه
في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس
جزرة في دبس فما اطعمتها فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الاخرة ما لم يمنع النفس
التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ
لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى يموت منه شهوة
الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي النظر
الى كل شي جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذي
يشتهي به الحلال هو الذي يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها
من الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى
آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن
اليها وتطمئن اليها اشرا وبطرا حتى تصير ثملة بها كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك

الفرح

الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال يوم
القيمة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها وما الحياة
الدنيا الا متاع الغرور فاولوا الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمواتاة
الدنيا فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم
والتباعد من اسباب الفرح والبطر ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها
وعلموا ان حلالها حساب وحرامها عذاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيمة فقد عذب فخلصوا
انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك في الدنيا والاخرة بالخلاص من اسر الشهوات
ورقها والانس بذكر الله والاشتغال بطاعة الله وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تاديبه ونقله
عن توثبه وتوحشه الى الانقياد والتادب فانه يحبس اولا في بيت ويخاط عيناه حتى يحصل له
الفطام عن الطيران في جو الهوى وينسى ما كان الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى
يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا
تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع
والبصر عن المالوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس
بذكر الله عز وجل عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل عليها في البداية
ثم تتنعم به في النهاية كالصبي يفطم من الثدي والفطام شديد عليه اذ كان لا يصبر عن الثدي
ساعة ولذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم
اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه
الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف
اللبن ويالف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل
على ذلك قهرا وتمنع من السرح الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث تترك
في موضعها فتقف فيه من غير قيد وكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتاديبها
ان تمنع من الاشر والبطر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت فيقال لها احبب ما احببت
فانك مفارقه فاذا علم ان من احب شيئا يلزمه فراقه يشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه
بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر
ايام قلائل فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة

قاسية بطرة بعيدة من التاثر بذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حال الحزن فوجدوها

مطلب

ينبغي للانسان ان يشغل قلبه

في شعر او تعلم صناعة وغيرها شهد الشرع به كل سنة وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر
بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق
المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف باختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد
ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في
القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع
عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع في الدنيا فكره ذلك وتألم به فهو ممن
فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس
ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة
سببا فلا يزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا بالموت
والسلام ٥ **بيان علامات حسن الخلق** اعلم ان كل انسان جاهل
بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه
انه قد هذب نفسه وحسن خلقه فاستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق
فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه صفات المؤمنين
والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك ليعلم آية حسن
الخلق فقد قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله هم الوارثون
وقال تعالى التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا ولذلك قال تعالى وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه
الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود
بعضها دون البعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده
ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق
فقال المؤمن يحب لاخيه المؤمن ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليكرم ضيفه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات
المؤمن الايمان هي حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال اذا رأيتم المؤمن صموتا
وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن

بحجب

حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه

وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال صلى الله عليه وسلم
لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما
ان يفشي على اخيه ما يكرهه وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال ان يكون كثير الحياء
قليل الاذى كثير الصلاح قليل الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل
الفضول برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا
ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض
في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته
في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول
بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن آمن من
كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق
يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة
والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد
والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن
الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكى من سوء خلق غيره لان حسن الخلق احتمال الاذى
فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا
وكان عليه صلى الله عليه وسلم برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه قال يا محمد هب لي من مال الله الذي
عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر بعطائه ولما اكثرت
قريش ضربه وايذاءه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ولذلك قال تعالى وانك لعلى
خلق عظيم ويحكى عن ابراهيم بن ادهم انه خرج الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال
له انت عبد فقال نعم قال اين العمران فاشار الى المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال هو
المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده الى البلد فاستقبله اصحابه
فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا هذا ابراهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه
ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له بعد ذلك لم قلت له انا عبد فقال انه لم يسألني عبد من انت بل قال انت عبد

فيدل على سوء خلقه ع

ساله

للكفار ايذاءه

فقلت نعم لابي عبد الله فلما ضرب بها اي سالت الله تعالى الجنة فقيل له طلبك فكيف سالت الله تعالى
له الجنة فقال علمت اني اوجر فيها فلم احب ان يكون نصيبي منه الاجر ونصيبه مني الشر ودعي
ابو عثمان الحيري الى دعوة وكان الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع
ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانيا فقال ارجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له
مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه الثالثة حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لم يتغير
فقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمان الذي رايت مني هو خلق الكلب
الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي ان ابا عثمان اجتاز في سكة فطرحت عليه اجانة رماد
فنزل عن دابته ونفض ذلك الرماد عن ثيابه فقيل له الا زجرتهم فقال ان من استحق النار فصولح (ولم يقل شيئا)
على الرماد لم يجز له ان يغضب وروي ان علي بن موسى الرضى كان يميل لونه الى السواد كان امه
سوداء وكان له في نيسابور على باب داره حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له الحمام فدخل ذات
يوم واطبق الحمام ومر الحمامي لبعض حوائجه فتقدم انسان رستاقي وفتح باب الحمام ودخل الحمام (الحمامي باب الحمام)
فراى علي بن موسى فظن انه بعض خدام الحمام فقال له قم فاحمل الي الماء فقام علي بن موسى وامتثل
جميع ما كان امره فرجع الحمامي فراى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما
فلما خرج علي بن موسى سال عن الحمامي فقيل له انه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي له ان يهرب ان الذنب
لمن وضع ماءه عند امة سوداء وروي ان ابا عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي
وكان له حريف يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط له شيئا حمل اليه دراهم زيوفا وكان ابو عبد الله
ياخذها منه ولا يخبره بذلك فاتفق يوما ان ابا عبد الله قام في بعض حاجته
فقدم المجوسي فلم يجده فدفع الى التلميذ الاجرة واسترجع منه ما خاطه ودفع اليه درهما زائفا فلما نظر اليه التلميذ رده
عليه فلما عاد ابو عبد الله اخبره بذلك فقال ابو عبد الله بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة
منذ سنة وانا اصبر فآخذ الدرهم والقيه في البئر لئلا يغر به مسلما وقال يوسف بن اسباط (البئر)
علامة حسن الخلق عشر اشياء قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من
السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوبه دون عيوب
غيره وطلاقة الوجه للكبير والصغير ولطف الكلام لمن دونه ومن فوقه وسئل سهل عن حسن الخلق
فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل
للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل له وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس

في داره

في داره اذ جاءت خادم له بسفود عليه شوي فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية
فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله تعالى فهذا ما رايت من حلمه وقيل كان اويس القرني
اذا راه الصبيان يرمونه بالحجارة فيقول ان كان لا بد فارموني بالصغار كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من
الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وروي ان جارية (وقف وقال ان بقي في قلبك شيء فقله كي لا يسمعك سفهاء الحي)
سوداء كانت لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت تقعد عند خياط فيقول لها اني احبك فذكرت ذلك
حتى ذكرت ذلك لعلي رضي الله عنه فقال لها اذا قال لك ذلك فقولي له فمه فقال لها فاذا قال
فقالت له فمه فقال لها اجر ونصبر حتى يحكم الله تعالى فذكرت ذلك لعلي رضي الله عنه فاعتقها
وروي ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه
مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت
فقال امض فانت حر لوجه الله تعالى وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي
الذي اضله اهل البصرة وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسك هذا الغلام
فقال لاتعلم الحلم عليه فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت من الغش
والغل بواطنها فاثمرت الرضى بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى و
لا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من
نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة
والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو

ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم اعلم ان الصبي امانة عند ابويه وقلبه الطاهر جوهرة
نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود
الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب
وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال
الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه عن نار
الاخرة اولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا
يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك
الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امراة صالحة متدينة

تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل
طبعه إلى ما يناسب الخبائث ومهما بدا فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك
ظهور أوائل الحياء فإنه إذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل
عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحة ومخالفة للطبع فصار يستحي من شيء دون شيء وهذه هداية
من الله تعالى وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ
فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه وأول ما يغلب عليه من الصفات
شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه وأن يقول بسم الله عند أخذه
وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحدق النظر إلى الطعام ولا إلى من يأكل
وأن لا يسرع في الأكل وأن يمضغ الطعام مضغا جيدا وأن لا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وأن يعود في
الخبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه
من يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح بين يديه الصبي المتأدب القليل
الأكل وأن يحبب إليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان وأن يحبب إليه
من الثياب البيض دون الملونة والإبريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وأن
الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من إبريسم أو ملون فينبغي أن
يستنكره ويذمه ويحفظ من الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة
وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فإن الصبي إذا أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأكثر
رديء الأخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وإنما يحفظ عن جميع
ذلك بحسن التأديب ثم ينبغي أن يشتغل في المكتب بتعليم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات
الأبرار وأحوالهم لينغرس حب الصالحين في نفسه ويحفظ عن الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله
ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فإن ذلك
يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن
يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة
واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على
مثله لا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي
بالمكاشفة فإن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الأمر فيه ويقال له إياك أن يطلع عليك في مثل هذا

فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإن ذلك يهون عليه سماع
الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا
يوبخه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح وينبغي أن يمنع من النوم نهارا فإن ذلك
يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يستخف بدنه
فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في الفرش والملبس والمطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله
في خفية فإنه لا يخفيه إلا ويعتقد أنه قبيح فإذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض
النهار المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع أن يفتخر على أقرانه بما يملكه والداه
أو بشيء من مطاعمه وملابسه ولوحه ودواته ويعود التواضع والإكرام لكل من عاشره والتلطف
في الكلام معهم ويمنع أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين
بل يعلم أن الرفعة في العطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لؤم وخسة وإن كان من أولاد الفقراء
فيعلم أن الأخذ والطمع مهانة ومذلة وأن ذلك من دأب الكلب فإنه يتبصبص في انتظار
اللقمة وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر من
التحذير من الحيات والعقارب فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أكثر من آفة السموم
على الصبيان بل على الأكابر أيضا وينبغي أن يعود أن لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب
بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه
بساعده فإن ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي أن يمنع كثرة الكلام ويبين له أن
ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللئام ويمنع اليمين رأسا صدقها وكذبها لا يعوده في الصغر
ويمنع أن يبتدئ بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما
تكلم من هو أكبر سنا منه وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من
لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك
فإن ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من
القرناء السوء وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر
له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي أن يؤذن
له بعد الفراغ من المكتب أن يلعب لعبا جميلا بحيث يستريح إليه من تعب الأدب بحيث لا يتعب
في اللعب فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه

حتى يبطل الحيلة في الخلاص وانما ينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو
اكبر منه سنا من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب
بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز ينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم
في بعض الايام من رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع
ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا
وقع نشوه كذلك في الصبى فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر [بلغ]
له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان بها على طاعة الله تعالى وان الدنيا كلها
لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الآخرة دار مقر
لا دار ممر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى
يعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه واذا كان النشو صالحا كان هذا
الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو
بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين
والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبو الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان
تراعى فان الصبي خلق جوهره قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه
قال سهل التستري كنت ابن ثلاث سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلاة خالي محمد بن سوار
فقال لي خالي يوما الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في
ثيابك ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهد علي فقلت
ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل ذلك كل ليلة احدى
عشرة مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم
عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت له حلاوة في
سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده ايعصيه اياك
والمعصية فكنت اخلو [بنفسي صح] فبعثوا بي الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم
اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب فحفظت القرآن وانا ابن ست سنين او سبع
وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثني عشر سنة فوقعت لي مسألة وانا ابن ثلاث عشرة سنة

فسألت ان يبعثوا بي الى البصرة اسأل عنها فجئت البصرة فسألت علماءها فلم يشف احد عني شيئا
فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسألته فاجابني [عنها]
فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتأدب بادبه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصادا
على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية
واحدة بحتا من غير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث
ليال ثم افطر ليلة واحدة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة
ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة

اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا [بالضرورة صح]
سبيلها مستهينا بلذات الدنيا ونعيمها فان من كان معه خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة
في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله
تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان
بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير
من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف
الخرزة فلا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من
السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين
والعلماء بالله الهادين الى طريقه المنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها [عن هواهم وحظوظهم صح]
فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان
تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى [الايمان صح]
الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا
لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا
والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه [الطريق صح]
غيره وانبعث له ارادة في حرث الآخرة فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة [او تعادتهم صح]
وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه
وله وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها

[illegible]

في الارادة هي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق سبحانه فان حرمان الخلق عن الحق سببه
تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق اربعة المال والجاه
والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب المال بان يفرقه ويخرجه من ملكه حتى لا
يبقى له الا قدر ضرورته فما دام يبقى له قدر درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب به عن الله
تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من
اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب
وان يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه
بان يرفع كل معبود له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة
الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من
المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في قلبه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا
اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعه الا التوبة
والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء
الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة
كان كمن يريد ان يقف على اسرار القران وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة عربية
القران لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منها الى اسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة
اولا واخرا ثم الترقي الى اسرارها واغوارها فاذا قدم المريد هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه
كان كمن تطهر وتوضى ورفع الحدث ليصلي فكما لا بد له في الصلاة من امام فكذلك لا بد له في الارادة
من شيخ يهديه الى السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له
شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الى طرقه فمن سلك البوادي المهلكة من غير خفير فقد
خاطر بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب
وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك
به تمسك الاعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض امره اليه بالكلية ولا يخالفه في ورد ولا صدر
ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطا شيخه لو اخطا اكثر من نفعه في صواب
نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه

للمذاهب

بامتثال الاوامر والانزجار عن النواهي

نفسه

المريد

قواطع

قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا احصن من القواطع فان مقصود
المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي
بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبه رقته وفي رقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته
سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة
بالشهوات قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى
ربكم وقال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت
والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب ظاهرة تشهد له التجربة وسياتي بيان وجه
التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه فينوره وينضاف
ذلك الى الصفاء الذي حصل بالجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمراة المجلوة فيلوح فيه جمال
الحق ويرى فيه رفيع الدرجات في الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها فتتم بذلك رغبته عن الدنيا
واقباله على الاخرة والسهر نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته
الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان
اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص اجتمع راي سبعين
صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فان العزلة تسهله ولكن المعتزل
لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب وتدبير امره فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة
فان الكلام يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر
ويستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل
وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كدرة قذرة
من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من الماء ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اصل
الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة
عليه فيتجدد في كل حال اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس ذلك
الا بالخلوة في مكان مظلم وان لم يكن له مكان مظلم فيلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او ازار
ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلغه وهو على هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة
جنة وحصن يدفع عنه القواطع ويمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده

ان شاء الله تعالى

تشهد له

فلذلك عظمت آفته

تلك

الطاهر

سلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله الا صفات القلب التي
سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل
بالاسهل فالاسهل وهي تلك الصفات اسرار العلايق التي قطعها في اول الارادة واثارها
يعني اثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد ان يخلي
الباطن عن اثارها كما اخلا الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفي ذلك تطول المجاهدة ويختلف
ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص يكون قد كفي اكثر الصفات فلا تطول المجاهدة ويختلف
ذلك باختلاف ~~الاحوال فرب شخص يكون قد كفي اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة~~ وقد
ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس
المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد
ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد وملازمتها اعني ملازمة القلب لذكر الله
تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشتغل به ما دام قلبه ملتفتا الى غيره قال الشبلي للحصري
ان كان يخطر ببالك من الجمعة الى الجمعة التي تاتيني فيها غير الله فحرام عليك ان تاتيني وهذا
التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق
المستهتر الذي ليس له الا هم واحد واذا صار كذلك الزمه زاوية ينفرد بها ويوكل
من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه
ذكرا من الاذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه فيجلس فيقول مثلا الله الله او سبحان الله
او ما يراه الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كانها جارية
على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب حتى يزول الاثر عن اللسان فتبقى صورة اللفظ في القلب
ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة
للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب اذا اشتغل
بشي خلا عن غيره اي شي كان فاذا اشتغل بذكر الله فهو المقصود وخلا لا محالة عن غيره وعند
ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله
واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشي من ذلك ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ايضا نقصانا
فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس ورد النفس الى هذه الكلمة جاءه الوساوس من هذه
الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا وتعتريه عند ذلك خواطر

الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد صح

اشتغل بشي كلها صح

ع

٤٨

وساوس

تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك
ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله سبحانه منزه
عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى
ذكر الله تعالى ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
والى ما يشك فيه فينبغي ان يعرض على شيخه بل كل ما يجده في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او
التفات الى علاقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه
احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتامل في ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من
نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور
ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله
قلبه من وعظ وذكر قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق
ومواضع اخطاره وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه
فانقطع عليه طريقه واشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن
تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة
الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال
باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولهذا يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد
فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من الاعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال
الظاهرة والاوراد المتواترة ويشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن
المجاهدة في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم الما ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم
وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر تقطعه
قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما
التفت الى شي من ذلك وشغل به نفسه كان له ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان
يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم على
راس ماله وهو الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق

كيف الطريق إلى التحقيق على الدوام قال لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة فقلت لا بد لي
من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم
فإن معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فإن
السكون إليهم هلكة قلت هذه العلة قال يا هذا تنظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين
وتعامل البطالين وتريد أن يحصل قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون أبدا فإذا منتهى
الرياضة أن يجد قلبه مع الله أبدا على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره
إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق
وظهر له من لطائف نعم الله ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط الوصف به أصلا فإذا انكشف
للمريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس
فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك المعاني وتحسين
الألفاظ وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة
الكلام لتميل إليه القلوب والأسماع والشيطان ربما يخيل إليه أن هذا إحياء القلوب
الموتى الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين خلقه تدعو عباد الله إليه
وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يحسن
الكلام ويجزل الألفاظ ويقدر على استجلاب قلوب العوام فإنه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة
إن كان محركه لذة القبول وإن كان محركه الحق حرصا على دعوة عباد الله على الصراط المستقيم
فيعظم به فرحه فيقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وازرني على إصلاح عباده كالذي
وجب عليه أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من يعينه عليه
فإنه يفرح به ولا يحسده والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون ففي كثرتهم
استرواح وتناصر فينبغي أن يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي أن يكون المريد على حذر
منه فإنه أعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له أوائل الطريق فإن إيثار الحياة
الدنيا طبع غالب على الإنسان ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين أن الشر قديم
في الطبع وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى
فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في التدريج إلى لقاء الله تعالى أما تفصيل الرياضة
في كل صفة فسيأتي فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه أعني الشهوات المتعلقة

بها

ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب
الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة
وإذا ظهر ذلك لم يسمح نفسه بترك الدين رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور
فلذلك وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب كتاب
في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب آفات اللسان وكتاب في آفة الغضب والحقد والحسد وكتاب
في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب ذم الرياء وحب الجاه
وكتاب في الكبر والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وطريق المعالجة
فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات إن شاء الله تعالى ولما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح صفات
القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة
كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب وأما تفصيلها فإنا نأتي به في هذا
الكتاب إن شاء الله تعالى تم كتاب رياضة النفس ولله الحمد والمنة يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه
القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ
عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بأمانيه
فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه وإذا مرض فهو يشفيه ويحفظه
عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة
بقليل القوت ويقويه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به شهوة
النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه بالملاذ
والمشتهيات ويكثر عليه مما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر
كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ أوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر
عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه
وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه
أما بعد فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم وحواء من دار القرار

وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه

الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما
والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى
المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والنكاح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى
التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب
المنافسات والمحاسدات ثم يتولد منها آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبر ثم يتداعى ذلك
الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل
ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع
وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به
ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا
عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح
طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها
ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائد الجوع ثم طريق
الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع
وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الرياء في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم
بيان ما على المريد من ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر
المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله
اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى الله عليه وسلم
سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة
وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة
وقال الحسن قال صلى الله عليه وسلم افضلكم منزلة عند الله عز وجل اطولكم جوعا وتفكرا
وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجوع

قلب في أكلة

الصوف

من غير عوز اي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه
في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي
ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب
بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم
ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث للطعام
وثلث للشراب وثلث للنفس وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الطويل ذكر فضل
الجوع اذ فيه ان اقرب الناس من الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا
الاخفياء الاتقياء الذين اذا شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف
بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه و
الركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم يبكي عليهم الارض اذا فقدتهم ويسخط
الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا
العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا
وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر ذهب عنهم الدنيا
فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في
الدنيا ولهم الشرف في الآخرة يا اسامة اذا رأيتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب
الله قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم اخوانا لنفسك عسى
ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل
فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك
الجبار وروى الحسن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف
وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السموات وقال عيسى صلوات الله عليه
اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك عن نبينا
صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وفي التوراة مكتوب ان الله تعالى يبغض الحبر السمين لان السمن
يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض
القارئ السمين وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن

يا ملائكتي

السماء

باكل في معا واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء اي ياكل سبعة اضعاف المومن او يكون شهوته
سبعة امثال شهوته وتكون المعنى كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتاخذه
كما ياخذ المعا وليس المعنى زيادة عدد معا المنافق على معا المومن وروى الحسن عن عايشة رضي الله عنها
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ادبموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت
وكيف ندبم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما وروي ان ابا جحيفة تجشا
في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقصر من جشايك فان اطول الناس جوعا يوم
القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عايشة تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يمتلي شبعا قط وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول
نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة
اخواني من اولي العزم قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم
فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في القيمة وما من شي احب الي من
اللحوق باخواني واخلائي قالت عايشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه
الله تعالى وعن انس قال جات فاطمة بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال اما
انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال ابو هريرة ما اشبع النبي صلى الله
عليه وسلم اهله ثلثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله
عليه وسلم ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الاخرة وان ابغض الناس الى الله تعالى
المتخمون وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة ٥ واما الاثار
فقد قال عمر رضي الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة ونتن في الممات وقال
شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة والتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلات
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل
بن عياض لنفسه اي شي تخاف اتخاف ان تجوع لا تخف ذلك انت اهون على الله من ذلك
انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي
اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني

الهي

51

الجوع والمرض وكذا لا تفعل باوليايك فباي عمل اؤدي شكر ما انعمت به علي وقال مالك
بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس
فقال يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جايعا وامسى جايعا وهو عن الله راض وكان الفضيل بن
عياض يقول الهي اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وانما تفعل هذا
باوليايك فباي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التايبين
تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التورية
اتق الله واذا شبعت فاذكر الجايع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشاي احب الي من
قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزاينه لا يعطيه الا من احب وكان
سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم
وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافى القيمة عمل بر افضل من ترك فضول الطعام اقتدا
بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس شيا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال
لا اعلم شيا اضر على طلاب الاخرة من الاكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع و
الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله تعالى بشي افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال
وقال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسيل عن الزيادة فقال
لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سال الله ان يجعلها
ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت
والسهر والخلوة وقال راس كل بر نزل من السما الى الارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع
نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اذا ابتلى الله تعالى على العبد بلاه بالجوع والسقم
والبلا الا من رحم الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها
بالصبر والجوع والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الما حتى روي فسلم
من المعصية وان شكر فكيف الشبع من الطعام وسيل حكيم باي قيد اقيد النفس فقال قيدها بالجوع
والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابناء الاخرة واكسرها
بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من افاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها
وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى ان الله عز وجل ما صافى احدا الا بالجوع
ولا والاهم الله تعالى الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار

ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ٤

انا حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلي فلذلك الجوف اذا خلا كان اعذب
للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال ابو بكر بن عبد الله ثلاثة يحبهم الله تعالى
قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة ويحكى ان عيسى صلوات الله عليه مكث يناجي ربه
ستين صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة واذا رغيف موضوع فقعد يبكي
لفقد المناجاة فاذا شيخ اظله فقال له عيسى ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي
الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر
لي وروي ان موسى عليه السلام لما قربه الله نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما ٥

بيان فوايد الجوع وافات الشبع

لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة
ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان
من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشياء الكريهة وما يجري مجراه. فاعلم ان هذا
يضاهي قول من شرب دوا فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدوا وكراهته
فاخذ يتناول كل ما هو مكروه من المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء
وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطبا فكذلك لا يقف على نفع الجوع الا سماسرة
العلما ومن اجاع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف
علة المنفعة كما ان من شرب الدوا انتفع وان لم يعرف وجه كونه نافعا ولكنا
نشرح ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوايد

الفايدة الاولى صفا القلب واتقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع
يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن
الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر
الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي الفهم والادراك قال ابو سليمان عليك
بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم
احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفوا وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد
والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته

وفطن

جوع

النعم

٥٢

وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسى قلبه ثم قال ان لكل
شي زكاة وزكاة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله يوما الا رايت في قلبي بابا
من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل
الى المعرفة والاستبصار بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب
الجنة فبالحري ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلات
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضا عن العبادة وقال ابو يزيد
الجوع سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم نور الحكمة
الجوع والتبعد من الله الشبع والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فيطفي
نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح ٥

الفايدة الثانية رقة القلب وصفاوه الذي به يتهيا لادراك لذة المناجات والتاثر
بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر عنه
حتى كان بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم
تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى
ما تكون الي العبادة اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين الله تعالى
مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان القلب اذا جاع وعطش
صفا ورق فاذا شبع عمي وبلد فاذا تاثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسر الفكر واقتناص
المعرفة فهي فايدة ثانية ٥ **الفايدة الثالثة** الانكسار والذل وزوال البطر و
الفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل
بشي كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت
حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا بشربة ما تاخرت عنها وما لم يشاهد ذل نفسه
وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سعادته في ان يكون دايما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز
ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دايما جايعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار
بالذوق ولاجل ذلك لما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزاينها قال لا بل اجوع يوما
واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج
باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن

وغلظ

اغلق بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما
بعد من الآخر الفائدة الرابعة ان لا ينسى بلاء الله تعالى وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان
الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع والعبد الفطن اذا شاهد بلاء غيره تذكر بلاء الآخرة
فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع اهل النار حتى انهم يجوعون
فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب
الآخرة وآلامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا علة ولا بلاء نسي عذاب
الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلاء او مشاهدا لبلاء واولى
ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا احد
الاسباب التي اقتضى اختصاصه بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف
صلوات الله عليه لم تجوع وفي يديك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع
فتذكر الجائعين والمحتاجين احد فوائد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة
على خلق الله تعالى والشبعان في غفلة من الم الجائع ۝ الفائدة الخامسة
وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء
فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة
فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة
في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت
وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد
انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني فلان احمله على
الشدائد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا
عصيت او هممت بمعصية وقالت عائشة اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست
فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى
واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول
الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه
الجوع عن كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس في

في جهنم

شاهدهم الاحتياج الى الشيء واما شهوة الفرج فلا يخفى غائلتها والجوع يكفي شرها فاذا شبع الرجل
لم يملك فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما يزني الفرج فان ملك
عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب
الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في اثناء الصلاة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج
مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر
على السياسة صبر على الخبز النخالة سنة لا يخلط معه شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع
الله عنه مؤونة النساء ۝ الفائدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب
كثيرا ومن شرب كثيرا كثر نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ عند حضور الطعام معاشر المريدين
لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع راي سبعين صديقا على ان
كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة
القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم
فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما غلب النوم فات التهجد وان تهجد لم يجد حلاوة العبادة
ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما
بالماء البارد فيتأذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان
قد اخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤونة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه
اخطارا قد ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقال ابو سليمان الاحتلام
عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الآفات
والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له ۝ الفائدة السابعة تيسر المواظبة على العبادة فان
الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان
في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه
والاوقات المصروفة الى هذا لو صرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه
وقال السري رأيت مع الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت
ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف
اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفى
منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل

الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الخروج الى شرب الماء واراقته وفيه ضرورة
ومن جملة الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع والصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف
اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم
يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست آفات وقال من شبع
دخل عليه ست فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق
لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات فان سائر المؤمنين
يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل ه الفائدة الثامنة في قلة الاكل
صحة البدن ودفع الامراض فان سببه كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق
ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج
الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان
منها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك حكي
ان الرشيد جمع اربعة اطباء هنديا ورومیا وعراقيا وسواديا فقال ليصف كل واحد
منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه هو الاهليلج
الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي هو الماء الحار وقال
السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء
والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك انت قال الدواء الذي لا داء فيه عندي
ان لا تاكل طعاما حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر
لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب
وثلث نفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم
وقال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بطن ما اعتاد
واظن ان تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر ومن ذلك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة
بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال تاكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع
وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الرجل معدته الرمان وان
اضر ما ادخل معدته المالح ولان يقلل المالح خير من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا

في الصوم والجوع وقلة الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما
الفائدة التاسعة خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي
تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما اخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج
الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما احتاج الى ان يمد
عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة قال بعض الحكماء اني
لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون اروح لقلبي وقال اخر اذا اردت ان استقرض من غيري للشهوة
او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهو خير غريم لي وكان ابراهيم بن ادهم يسأل اصحابه
عن سعر المأكول فيقال انه غال فيقول ارخصوه بالترك قال سهل الاكول مذموم في ثلاثة
احوال ان كان اهلا للعبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل
عليه شيء فلا ينصف الله من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم
البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الامور كلها
وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم اديموا قرع باب الجنة
بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح
من التعب وتخلى لعبادة الله تعالى وتجارة الآخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله فانما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة ه
الفائدة العاشرة ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى
والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما جاء في الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به
فخزانته فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات
الطعام يمنع من التخمة والشبع اولى وكان الحسن اذا قرا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال
عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق اللاتي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم
فقال لها تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت
قالت لا ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ البواذخ الصعاب الصلاب فقال لها هل تحملين الامانة
بما فيها قالت وما فيها فذكر لها الجزاء والعقوبة قالت لا ثم عرضها على آدم فحملها
انه كان ظلوما جهولا لامر ربه عز وجل فقد رأيناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا

الشم البواذخ
في الهم

فماذا

الا انه صنعوا فيها وسعوا لها دورهم وضيقوا لها قبورهم واسمنوا لها براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى ابواب هذا السلطان يعرضون البلاء وهم من الله في عافية يقول قائلهم يمينى ارض كذا وكذا وازيدك كذا وكذا يتكي احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى اذا اخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ايتني بشيء اهضم به طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة اين اليتيم اين المسكين الذي امرك الله به وهذه اشارة الى هذه الفوائد وهو صرف فاضل الطعام الى الفقراء فيدخر به الاجر فذلك خير له من ان ياكل حتى تتضاعف الوزر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لاخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا رجالا كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوايد للجوع يتشعب من كل واحد منها فوايد لا تنحصر ولا تتناهى فوائدها والجوع خزانة عظيمة لفوائد الاخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الاخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة كل ذلك يصرح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد يدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم يعرف هذا وصدق بفضل الجوع كان له رتبة المقلدين في الايمان والله سبحانه وتعالى اعلم

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظايف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فان العبادة مع اكل الحرام كالبناية على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظايف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها

اما الوظيفة الاولى في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير وانتقل دفعة الى الاكل القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرده الى واحد فينقص كل يوم ربع رغيف وهو ان ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا

55

او جزءا من ثلاثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يضره ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله تعالى استعبد الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فلو خاف العبد على اثنين منها وهما الحياة والعقل اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا وراى ان صلاته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلاته قائما مع كثرة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يتقوت به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت اخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز فاسويه مخلوطا ثلاثمائة وستين كرة اخذ كل ليلة كرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف تاكل قال بلا حد ولا توقيت ويحكى عن الرهبانيين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام والدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وذلك كانت عادة عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع لقم والدرجة الثالثة ان يرد نفسه الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ان ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله ثلث للنفس والدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وها هنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر لنفسه رغيفا او رغيفين فانه لا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها ان لا تطلب النفس الادم بل تاكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلبت خبزا بعينه او طلبت ادما فليس ذلك بالجوع وقيل من علاماته ان يبصق فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه دهنية ودسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي

نفسه بالرياضة ع

هنا

بعادته لانه ع

لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوة وعلى الجملة فتقدير
الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من
حنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث
البطن وفي التمر احتاج الى الزيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر يقول طعامي في كل جمعة
صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه شيئا حتى القاه
فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيامة واحبكم الي من مات على ما هو عليه
اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم
المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم الوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في
اخرى ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفة
مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول
المومن مثل العنز يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق
مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يوثر اخاه بفضله وجهوا
هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المومن
منها حلالا لان اكل المومن عند الضرورة بقدر القوام فقط ٥ **الوظيفة الثانية**
في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا اربع درجات الدرجة العليا ان يطوي ثلاثة
ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم
الى ثلاثين واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني
وعبد الرحمن بن ابراهيم ورحيم وابراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي
ومسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابراهيم بن احمد الخواص وقد
كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة
ايام وكان ابو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي ان الثوري وابراهيم بن
ادهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة وقال بعض
العلماء من طوى اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار
الالهية وقد حكي ان بعض هذه الطائفة مر على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما
هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي

اربعين

اربعين يوما وانه معجزة لا تكون الا لنبي صادق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل
في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على الباطل قال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما
ثم قال وازيدك ايضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا
يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل
بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته والدرجة
الثانية ان يطوي يومين الى ثلاثة ايام وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول
اليه بالجد والمجاهدة والدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على
اكلة واحدة وهو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة الشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك
فعل المترفين وهو بعيد من السنة وروى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة وقال صلى
الله عليه وسلم لعائشة اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف والاكلة الواحدة في يومين
اقتار واكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله تعالى ومن اقتصر في اليوم على
اكلة فيستحب له ان ياكلها في السحر قبل طلوع الفجر فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل
له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر
واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا ينازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن
ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط ولقد كان ليقوم
حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عائشة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر وفي حديث عائشة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان يشغله عن حضور القلب
في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه بنصفين ان كان رغيفا مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا
عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل تسحره فيستعين
بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس
ان ياكل يوم فطره قبل الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الاكل
ومقاديره وتباعده ٥ **الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام
مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام

اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي
طريق الاخرة الامتناع من الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه
الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا له بلذات الدنيا حتى
يالفها ويكره الموت ولقاء الله وتصير الدنيا عنده جنة في حقه ويكون الموت عنده سجنا
واذا منع نفسه من شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا عليه سجنا ومضيقا فاشتهت
الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه اشار يحيى بن معاذ [حيث قال معاشر] الصديقين جوعوا انفسكم
لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من افات الشبع فانه يجري
في اكل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الاجر في ترك الشهوات في المباحات
ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة
وهذا ليس تحريما بل هو مباح على معنى ان من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا
فلا يعصي في تناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتانس بالدنيا وتالف اللذات وتسعى في طلبها
فيجرها ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقود بهم الى اقتحام امور تلك الامور
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم
وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام واوحى الله الى موسى عليه الصلاة والسلام
اذكر انك ساكن القبر فيمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول
لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع النفس
منه غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال
احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله
وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد فهذا تنبيه على ان تيسير اسباب
الشهوات ليس من علامات الخير ولذلك امتنع عمر رضي الله عنه من شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا
عني حسابها فلا عبادة لله اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة
النفس وقد روى نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد
ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل
على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ
كذا وكذا فلم نجدها حتى وجدناها واشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها [اليه]

فقال

فقال الغلام للسائل هل لك ان تاخذ درهما وتعطي السمكة فقال نعم فاخذها ودفع اليه
الدرهم فقال قد اعطيته درهما واخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه
غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا
واهلها الدمار اشار به ان المقصود [رد الم] الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر
رضي الله عنه ان يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه حضر عشاؤه
فاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه بثريد لحم فاكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده
وكف عمر يده حتى قال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام بعد طعام والذي نفس عمر بيده
ان خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن نمير قال ما نخلت لعمر دقيقا
قط الا وانا له عاص وروي ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقا ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول
كسرة وملح حتى يتهيا في الدار الاخرة الشواء والطعام الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف من حب كان في
الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول
لها يا ام فلان قد سددت عني كلب الجوع وروي ان مالك بن دينار بقي اربعين سنة يشتهي
لبنا فلم ياكله واهدي اليه يوما رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة
وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئته به فعض منه
عضة ثم طرح الرغيف واقبل يبكي ويقول عجلت لي شهوتي بعد اطالة جهدي واشقوتي قد عزمت على
التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله عز وجل وقال مالك بن ضيغم مررت في سوق
البصرة فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني الليلة من هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين
ليلة وعن شقيق بن ابراهيم قال لقيت ابراهيم بن ادهم في سوق مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس ناحية من الطريق يبكي فعدلت اليه وجلست عنده وقلت ايش هذا البكا يا ابا اسحق
فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فلما اكثرت عليه قال يا شقيق استر علي فقلت يا اخي قل ما
شئت فقال لي اشتهت [نفسي منذ ثلثين سنة] سكباجا فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني
النعاس اذا انا بفتى شاب بيده قدح اخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتي
عنه فقربه مني وقال يا ابراهيم كل فقلت ما اكل شيئا قد تركته لله فقال لي قد اطعمك الله فكل
فما كان لي جواب الا بكيت فقال كل رحمك الله فقال ابراهيم فقلت قد امرنا ان لا نطرح في وعائنا الا

حتى نعلم فقال لي كل يرحمك الله فما اضطربت وقلت يا عجز اذهب بنا واطعم نفسك حتى يسيم زادهم
فقدرت رحمه الله من طول صبره على ما يجاهد من نفسه اعلم يا ابراهيم اني سمعت الليلة كذا يقول
من لعظى فلم يا احد طلب فلم نعط فقلت لم كان كذلك فقال انا ابن حديث لا احل العقود مع الله
عز وجل ثم التفت فاذا انا بفتى اكرم ناوله شيئا وقال يا حفص لقمة انت ولم يزل يلقمني حتى نعست
فانتبهت وحلاوة تهجع في فمي قال سفيان فقلت ارني كفك فاخذت كفه وقبلتها وقلت يا من
يطعم الجياع اذا صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من شفى قلوبهم من محبته اترى لسفيان
عندك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السماء وقلت بقدر هذا الكف وبقدر صاحبه وبالجود
الذي وجد منك جد على عبدك الفقير الى فضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق
ذلك قال فقام ابراهيم ومشى حتى دخلنا المسجد الحرام ومكث مالك بن دينار بالبصرة اربعين سنة
ما اكل رطبة ولا تمرة وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة فما اكلت فيكم رطبة ولا
تمرة فما ازداد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم وقال مالك بن دينار طلقت الدنيا
منذ خمسين سنة اشتهيت شيئا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمه حتى القى الله وقال
حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك
جزرا ثم اشتهيت تمرا فاليت الا تاكليه ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم في
السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة
لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتني
حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقته فبعث به الى يتامى من الفقراء وعن
موسى الاشج قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن احمد بن خليفة قال نفسي منذ
عشرين سنة ما تطلب مني الا الماء حتى تروى مما اعطيتها وروي ان عتبة الغلام اشتهى
لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي ان ادفعها منذ سبع سنين سنة
سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها فلقيت صبيا فقلت الست ابن فلان وقد مات ابوك
قال نعم فناولته اياه وابتدأ يبكي ويقول ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ولم يذق
ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين فلما ان كان ذات ليلة اشترى بقيراط ورفعه حتى يفطر عليه
قال فهبت ريح فاظلمت الدنيا ففزع الناس فقال عتبة هذا لجرأتي عليك وشرائي التمر بقيراط وقال
لنفسه ما اظن اخذوا الا بذنبك لا ذقته وترك التمر واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس

الشهوات ع

تا سبل ليلة يقول ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ولم يكن ياكل الا قفارا وقال
عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها قال انك
تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال ان انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة
قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينيك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد
دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك فاذا ترك شيئا لم يعاود فيه ابدا وقال
جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشتري له التين الوزيري فاشتريته فلما كان افطاره
اخذ واحدة ووضعها في فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف
في قلبي اما تستحي تركته من اجلي ثم تعود اليه وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني متكلف
لك شيئا فلا ترد على كرامتي فقال افعل ما تريد قال فبعثت ولدي بشربة من سويق
قد لتته بسمن وعسل وقلت لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له
نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته وقلت سبحان الله رددت علي كرامتي فلما راى وجدي
قال لا يسوءك ذلك اني قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم
اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قول الله عز وجل يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت
في نفسي اراني في واد وانت في آخر وقال السري ان نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة ان اغمس
جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف رجلا تقول له نفسه انا اصبر لك
على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي لي
عشرة ايام ولكن اتركي هذه الشهوة وروي ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليهم رغفانا
فجعل اخوه يقلب بعضها ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت
ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب
الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والبهائم وبني آدم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى
وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا اولهم
ميكائيل صلوات الله عليه يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب والشمس والقمر
والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقال بعضهم اتيت قاسما الجوعي فسألته عن شيء من الزهد فقال اي شيء تقول فيه فقال تعلم ان البطن دنيا

والارض والرياح والشمس ع

العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر
الحارث قد اعتل فسال عبد الرحمن المتطبب عن شي يوافقه من الماكولات فقال تسالني فاذا
وصفت لك لم تقبل مني قال بشر صف لي حتى اسمع فقال عبد الرحمن تشرب سكنجبينا وتمص
سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيدباجا فقال له بشر تعلم شيا اقل من السكنجبين يقوم مقام السكنجبين
قال لا قال فانا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال اتعرف شيا اقل من الاسفيدباج تقوم مقامه
قال لا قال فانا اعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن انت اعلم مني بالطب
فلم تسالني فقد عرفت ان هولاء كيف امتنعوا عن الشهوات ومن الشبع من الاقوات لانه كان
لا يمنعوا الا من حلال فلم يحضوا لانفسهم الى قدر الضرورة والشهوات ابين من الضرورة حتى قال
ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك
فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فيكفي بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل
كل ما يهواه نفسه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين
يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اكل اللحم ضراوة
كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه
شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع
فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او يجلس فيذكر الله
تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الخبر اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه
فتقسو قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا
من القران عقيب كل اكلة وكان سفيان الثوري اذا شبع في ليلة احياها واذا شبع في يوم
واصله بالصلاة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده
ومهما اشتهى شيئا من طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكلها بدلا عنه لتكون قوتا ولا تكون تفكها
لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال ابدا بالتمر فان
قامت كفايتك والا اخذت من الخبز بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف
فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو اكل الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطفه وكان بعضهم يقول
لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز
شهوة وقال ابن عمر ما تاتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة

[illegible]

وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد
من شهوته يخشى ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه
ويترك شهوته يتمتع في الآخرة بشهواته قال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وصحنا
فمنعتها فقويت مطالبتها فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم
رايته في المنام فقلت له ماذا فعل الله بك فقال لا احسن اصف ما تلقاني ربي من النعيم
والكرامة وكان اول شي استقبلني خبز ارز وصحنا فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير
حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك
الشهوات ولذلك قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي
قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات
ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء
الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع
بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان
يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر
على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فانه ان اسرف مسرف في مضادة الطبع
كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم
النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم
ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل
ينسى بطنه ولا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة
والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها
بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص
من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد من
هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محمية على النار
ومطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج

[illegible]

فلا تزال تتردد حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط
هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة
تلك الحلقة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج عن الحلقة وهو
يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احواله البعد وابعد المواضع عن الاطراف
الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاحوال المتقابلة وعنه عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير الامور اوساطها واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع
ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل بخفته ولكن هذا
بعد اعتدال الطبع اما في بداية الامر فاذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى
الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي
ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجعت الى
الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها ولهذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه
فيأمره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وهو لا يمتنع منها لانه قد فرغ من تاديب
نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة
كان الاصلح لها الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال لتنكسر نفسه والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل
فترد بعد ذلك في الغذاء ايضا الى الاعتدال فانما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكي طريق
الآخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط
المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه
انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهذا
الغالب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته
لنفسه في ذلك فيسامح نفسه في ذلك كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما
تناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت
مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متباعدة عن الحق غير بالغة
رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي
الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان
يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا صائم وكان يقدم اليه

الي

الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصيام ثم ياكل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال
اني صائم فقالت عائشة قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه وكذلك
حكي ان سهلا كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن ثلاث سنين ثم ذكر
انه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف انت في وقتك قال آكل بلا حد
ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد اكل كثيرا اي لا اقدر بمقدار واحد ما اكله وقد كان
معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فياكل فقيل له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا
فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني
اكلت واذا جوعني صبرت ما لي وللاعتراض والتمييز ودفع ابراهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم
فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا
اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا نفرا
يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في
الطعام اسراف انما الاسراف في الثياب والاثاث فالذي ياخذ العلم من السماع والتقليد يرى
هذا من ابراهيم ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة ومن سري
السقطي انه منذ اربعين سنة اشتهي ان اغمس جزرة في دبس فلم افعل فيراه متناقضا او
متحيرا فيقطع بان احدهما مخطئ والبصير باسرار العلوم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة
الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال سمعها فطن محتاط او غبي مغرور فيقول المحتاط
ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فلست اطوع من نفس سري السقطي ومالك
بن دينار وهؤلاء من الممتنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي
باعصى من نفس معروف الكرخي وابراهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ماكولي فانا
ايضا ضيف في دار مولاي فما لي وللاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه او في توقيره ادنى ماله
وجاهه بتطريفه قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع
الحمقى بل رفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة النبوة والولاية
فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن
طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله وافطاره ... وينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه
فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يقس عليه بل لما عرض عليه

ماء مبرد بالعسل جعل يردده ثلاثا في كفه فيقول اعزلوا عني حسابها فيذهب حلاوتها ويبقى تبعتها
اعزلوا عني حسابها فقاد تركها وهذه اسرار لا ينبغي للشيخ ان يكاشف بها مريده بل يقتصر على
مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال ومن تركه ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة
فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه في كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك
من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابرهيم الخواص ان يخوض مع المريد في كل رياضة كان يامره
بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ يامر بما لم يفعله فينفره ذلك عن رياضته والقوي اذا
اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم
الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال اخفى من كل خفي في حق كل شخص
فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه
فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا
ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال
فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك ٥ بالكلية صح

بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك الشهوات وقلل الاكل

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احداهما ان
لا يقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان لا يعرف بانه يشتهيها
فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء
عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به باسا فقال ياكل في الخلوة ما لا ياكل في الملا وهذه
آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهره فان هذا صدق الحال وهو بدل
عن فوات المجاهدة بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان
والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين
فقال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره المنافق صح
كفرا آخر لانه استخف بنظر الله تعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره فالعارفون يبتلون واشتبه باطنه صح
بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله تعالى
ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها
في بيته وهو فيها من الزاهدين وانما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشوا

على حاله فنهاية الزهد في الظاهر باظهار الصدق وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما انه لو بلا
جمع بين كذبين فهذا قد حمل النفس ثقل الصدق وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بتقديره فلا
جرم انه يكافا باجرهم مرتين بما صبروا وهذه تضاهي طريق من ياخذ ما يعطى جهرا ويرده سرا
ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه
والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستر
اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم له من غيره فهو انما يقصد
الرياء المجرد ويروجه الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان
علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل او لا ينزجر باعتقاده ان تارك الشهوات ٥
والآفة الثانية ان يقدر على ترك الشهوات ولكن يفرح ان يعرف به فيشتهر بالتعفف عن
الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة
الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة
الطعام فلياكل فهو اولى له قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها
فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت بذلك عن نفسك الشهوة مناها ونلهام
وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها قال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الي
شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان
اخفت شهوتها واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذا كان عقوبة النفس
في هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب الى وفزع صح
حية لان شهوة الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام ٥

القول في شهوة الفرج

اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين احداهما ان يدرك لذته فيقيس بها لذة الآخرة
فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والآمها اعظم آلام الجسد
والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة محسوسة مدركة
فان ما لم يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه
فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم يضبط ولم يقهر ولم يرد الى حد الاعتدال
وقد قيل في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله ومن شر غاسق
اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال في

تسير الذكر إذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول
أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة
لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي أن موسى عليه الصلاة والسلام كان جالساً في بعض مجالسه
إذ أقبل عليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك
فقال له موسى من أنت قال أنا إبليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك قال
أختطف قلوب بني آدم قال فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه قال إذا أعجبته نفسه
واستكثر عمله ونسي ذنوبه وأحذرك ثلاثاً لا تخل بامرأة لا تحل لك فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل
له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به ولا
تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي
حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويله علم موسى ما يحذر به بني آدم وعن سعيد
بن المسيب ما بعث الله نبياً فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا شيء أخوف عندي
منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا بيتي وبيت ابنتي أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم إن الشيطان
قال للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطي وأنت موضع سري وأنت
رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه
الشهوة أيضاً لها إفراط وتفريط واعتدال فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال إلى التمتع بالنساء
والجواري فيخرج عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش وقد ينتهي إفراطها
بطائفة إلى أمرين شنيعين أحدهما أن يتناولوا ما يقوي شهوتهم للاستكثار من الوقاع كما قد يتناول
بعض الناس أدوية تقوي المعدة لعظم شهوة الطعام وما مثال ذلك إلا كمن ابتلي بسباع ضارية
وحيات عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها وإصلاحها
فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص
فإن قلت فقد روي في غريب الحديث شكوت إلى جبريل ضعف الوقاع فأمرني بأكل الهريسة
فاعلم أنه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالإمتاع وحرم على غيره نكاحهن فكان طلبه القوة
لهذا لا للتمتع والأمر الثاني أنه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق وهو غاية
الجهل بما وضع له الوقاع وهي أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحيى منها حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضي إلا
من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة أين اتفق فيكتفي وهذا لا يكتفي إلا بواحد معين حتى يزداد به ذلاً إلى

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذل وعبودية إلى عبودية حتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وإنما
يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر وإلا فإذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق
المال والجاه والعقار والأولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فإن هذه أمور قد
تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها ألبتة ومثال من يكسر العشق
في أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخل وما أهون منعها بصرف
عنانها ومثال علاجه بعد استحكامه مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها
ويجرها إلى ورائها وما أعظم التفاوت بين الأمرين في اليسر ولكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما أواخرها
فلا تقبل العلاج إلا بجهد شديد يكاد يؤدي إلى نزع الروح فإذاً إفراط الشهوة أن يغلب العقل إلى
هذا الحد وهو مذموم جداً وتفريطها بالعنة أو بالضعف عن إمتاع المنكوحة وهو أيضاً مذموم وإنما
المحمود أن تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما أفرطت فكسرها
بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم معشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم
فإن الصوم له وجاء ٥

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم أن
المريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالتزويج فإن ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك
ويستجره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى
الله عليه وسلم فإنه كان لا يشغل قلبه عن الله فلا تقاس الملائكة بالحدادين وكيف يقاس برسول
الله صلى الله عليه وسلم غيره وكان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يخاف احتراقه فيه إلى حد كان
يخشى في بعض الأحوال أن يسري ذلك إلى قلبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة
أحياناً ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان
طبعه الأنس بالله وكان أنسه بالخلق عارضاً رفقاً ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم
فإذا ضاق صدره قال أرحنا يا بلال حتى يعود إلى ما هو قرة عينه فالضعيف إذا لاحظ أحواله
في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال
أبو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن إلى الدنيا وقال ما رأيت مريداً تزوج فثبت على ما كان وقيل
له ما أحوجك إلى امرأة تستأنس بها فقال لا آنسني الله بها وقال أيضاً ما شغلك عن الله
من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم فشرط المريد العزوبة في الابتداء إلى أن يقوى في المعرفة وهذا
إذا لم تغلبه الشهوة فإن غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فإن لم تنقمع الشهوة بذلك

جميع ما في الدنيا

تلك

وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لانه لم يسكن الشهوة
ولانه ان لم يحفظ عينيه لم يحفظ فكره ولا يهلك ... وزنا العين من كبار
الصغاير وهي تؤدي الى القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض
بصره لم يقدر على حفظ دينه وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اياكم والنظرة فانها تزرع في
القلب الشهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت فتنة داود من اجل النظر
وقال داود لابنه سليمان صلوات الله عليهما يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف
المراة وقيل ليحيى بن زكريا ما بدو الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول
ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطي به يعني النظر وقال النبي صلى الله عليه وسلم النظرة
سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه
وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال اتقوا
فتنة النساء وفتنة الدنيا فان اول فتنة بني اسرائيل كان من قبل النساء وقال تعالى قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم الاية وقال صلى الله عليه وسلم لكل ابن ادم حظ من الزنا فالعينان تزنيان
وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم
يزني وزناه القبلة والقلب يهم ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استاذن
ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا فقلنا
اوليس اعمى لا يبصرنا قال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما
جرت العادة في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق
النظر اليه لغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان
قدر على حفظ عينيه من النساء ولم يقدر على حفظها من الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان
اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة
حرام بل كل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فان
قلت فكل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان
مكشوفة قلت لست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة بين شجرة خضراء
ويابسة وماء صاف وكدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى احداهما
بعينه وطبعه ولكن خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهي ملامسة الازهار وتقبيلها ولا تقبيل الماء

والانوار

43

تفصيل الى ذلك الصافي وكذلك الصورة الحسنة قد يميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه
القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل
في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة وبين السقوف المزخرفة
فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون
قال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من غلام امرد يجلس اليه
وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجله يريد الشهوة لكان
لواطا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيين صنف ينظرون
وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا آفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض
بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع وقال
بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرايت شخصا في المنام
فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في
فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت
الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال لي اتحب ان يذهب ما تجده واضرب عنقك قلت نعم قال مد
رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى
سنة ثم عاودني ذلك او اشد منه فرايت شخصا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول
ويحك كم تسال الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج
الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فالنية
الحسنة وفي دوامه حسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك
في كتاب آداب النكاح فلا نطول باعادته وعلامة صدق الارادة ان ينكح امراة فقيرة متدينة ولا
يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق
وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من
ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقد قال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون
الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال
والادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق تزوج بعض
المريدين بامراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة وشكت ذلك الى ابيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل

انا في منزله منذ سنين فذهبت الى الحلاوة وحمل الى ان تزوج بعضهم امراة ذات جمال
فلما قرب الزفاف اصاب المراة الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا ان يستقبحها فاراهم الرجل
انه رمد ثم اظهر ان بصره قد ذهب حتى زفت المراة اليه وزال عن اهلها الحزن فبقيت
عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدت لاجل اهلها
حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اصحابك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة
الخلق فكان يصبر على خلقها [illegible] فان تزوج المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك
فهو اولى له اذا لم يمكنه ان يجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله
كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين الف درهم في كل يوم ثم كتب الى اهل البصرة وعلمائها في امراة
يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان
الله تبارك وتعالى قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس تمضي الليالي والايام
حتى اتمها مائة الف وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد
فان الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا
فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا تراثك وصم
الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله عز وجل خولني امثال الذي خولك واضعافه
ما سرني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل ما يشغل عن الله
تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب وان
عجز فالنكاح اولى به ودواء هذه الشهوات ثلاثة الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي
على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف
يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من احد قط
الا اتاه من قبل النساء وقال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه
وهو يعشو بالاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء وعن ابن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد
بن المسيب فتفقدني اياما فلما جئته قال اين كنت فقلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا
اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن الذي
يزوجني وما املك الا درهمين او ثلاثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وزوجني على درهمين او قال ثلاثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح وسرت الى منزلي وجعلت

عندي ع

ممن

ممن اخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسترحت وكنت وحدي صائما
فقدمت عشائي افطر وكان خبزا وزيتا واذا بابي يقرع الباب فقلت من هذا فقال سعيد
فافكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا بين بيته
والمسجد فقمت فخرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت
الي فاتيتك قال لانت احق ان يؤتى قلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت
ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في
الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي
فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاؤوني
فقالوا ما شانك فقلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة
فقالوا سعيد زوجك ابنته قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ امي الخبر
فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلاثة ايام قال فاقمت ثلاثا
ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل النساء واذا هي احفظ الناس لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا اتيه فلما كان
قرب الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق
اهل المسجد فقال ما حال ذلك الانسان فقلت بخير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو
قال ان رابك منه شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال
عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين
ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة
سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في زفافها
تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا
ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما للعجز
او للخوف او للحياء او للمحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ
النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك

الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضيلة والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع
القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات
حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف واستناعه عن زليخا
مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله عز وجل به لك في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة
الشيطان في هذه الشهوة العظيمة وروي ان سليمان بن يسار كان من اجمل الناس وجها
فدخلت عليه امراة فسالته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت
في المنام يوسف عليه الصلاة والسلام وكاني اقول له في المنام انت يوسف قال نعم انا يوسف
الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم واشار به الى قوله ولقد همت به وهم بها لولا ان
راى برهان ربه وعن سليمان بن يسار ايضا ما هو اعجب منه وهو انه خرج حاجا من المدينة
ومعه رفيق له حتى نزلوا بالابوا فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع
شيئا وقعد سليمان في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورعهم فبصرت به امراة اعرابية
من قنة الجبل فلما رات جماله وحسنه انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت فوقفت   قلة
بين يديه فاسفرت عن وجه لها كانه فلقة قمر فقالت اهنئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل   فلقة
السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس   انا اريد م
ثم وضع راسه بين كميه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك سدلت البرقع على وجهها
ورجعت رجلها حتى رجعت الى خيمتها فجاء رفيقه ورآه قد انتفخت عيناه من البكا وانقطع حلقه
فقال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي فقال لا الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث
او نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا
فقال له سليمان وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكا منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك
لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى اتى الحجر واحتبى بثوبه
فنعس فاذا رجل وسيم جميل طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان من
انت يرحمك الله قال انا يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وشان امراة العزيز لشانا   قال يوسف م
عجيبا فقال له يوسف شانك وشان صاحبة الابوا اعجب وروي عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول

50

صلى الله عليه وسلم انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت
صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا
الله بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم انه كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق   الا ان تدعوا م
قبلهما اهلا ولا مالا فناى بي في طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما
فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او مالا فلبثت والقدح في يدي انتظر
استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما
اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت
شيئا لا يستطيعون الخروج وقال الآخر اللهم كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس
الي فراودتها عن نفسها فلم تفعل حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين
دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض
الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت
الذهب الذي كنت اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما
نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم
اني استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره   استعمادا
حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اد الي اجري فقلت كل ما ترى
من اجرك من الابل والغنم والبقر والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا
استهزئ بك فخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك
ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل
من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر
مبدا الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات
كلها تنشا منه والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك   والمعاودة لا يؤاخذ بها م
الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان   رداء
النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في تردداته عن وقوع البصر على النساء
والصبيان فمهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر في نفسه
ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول ولا يحصل

النظر

له الا التمر وان استقام لم يتلذذ به وبانه لانه قصد التلذذ بفعل ما اباحه ولا يخلوا في كل
حالته من معصية وعن ابي يزيد نحن دونهما حفظ عينيه بعد الطريق اندفع في قلبه كثير
من الافات وان اخطا في عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية
التوفيق • وروي عن بكر بن عبد الله المزني انه قال ولع قصاب بجارية لبعض جيرانه
فارسلها اهلها الى حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل
لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه
فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل
فساله فقال ما لك فقال العطش فقال تعال حتى ندعو حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال
ما لي من عمل فادعوا قال فانا ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة
حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول
زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك
لتخبرني بامرك فاخبره فقال له الرسول ان التائب من الذنب من الله بمكان ليس احد
من الناس بمكانه • وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب
متعبد ملازم المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه فكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت
فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما
كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك
بها فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت والله ما
وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان يشرف العباد الى هذا
مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير
وانتم معاشر العباد في مثل القوارير ادنى شيء يعيبها وجملة ما اكلمك به ان جوارحي
كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله واراد ان يصلي
فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها
فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة
ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستره الله فاذا لبس لها ملابسها
غضب الله عز وجل لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا

ايام

حتى

بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله

بعد يوم

والارضون

يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل وتكون الجبال
كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف
باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هو يبري من الكلوم
الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسالة فاني متشاغل
عنك بقوله وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم
ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب من هذه الاية ثم
جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع الى منزله
لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم ابدا الا بين يدي الله
تعالى وبكت بكاء شديدا وقالت اسال الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما عسر
ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل
عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله تعالى وهو الذي
يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء شديدا اشد من بكائها
الاول ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل كذلك حتى ماتت كمدا فكان
الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايستها فيقول اني ذبحت
طمعها مني في اول امرها وجعلت قطيعتها ذخيرة آخرتها عنده ٥ تم كتاب رياضة
النفس بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يتلوه ان شاء الله تعالى
كتاب آفات اللسان

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آفات اللسان

الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله • والهمه نور الايمان فزينه به وجمله • وعلمه
البيان فقدمه به وفضله • وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله • ثم ارسل عليه سترا من
رحمته واسبله • ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله • ويكشف عن ستره الذي ارسله •
واطلق بالحق مقوله • وافصح بالشكر عما اولاه وخوله • من علم حصله • ونطق سهله • واشهد
ان محمدا عبده ورسوله الذي اكرمه وبجله • ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وآي فصله
ودين سهله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه ومن بعده ما كبره عبد وهلله ٥ اما بعد

من نفسك

لي عند الله عز وجل وانا استحيي من الله تعالى ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده

ان لا اله الا الله وحده لا شريك له

٤٧

فان اللسان من نعم الله تعالى العظيمة ولطايف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم
طاعته وجرمه اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان
ثم انه ما من موجود ومعدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان
يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا
شي الا والعلم متناول له وهي خاصية لا توجد في ساير الاعضاء فان العين لا
تصل الى غير الاجسام وكذلك ساير الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا
لمجاله منتهى وحد له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله
مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان
يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده
بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى غايلته في عاجله واجله
وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير
واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مونة في اطلاقه وقد تساهل
الخلق في الاحتراز عن افاته وغوايله والحذر من مصايده وحبايله وانه لاعظم الة الشيطان
في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله تعالى وحسن تدبيره نفصل مجامع افات اللسان
ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوايلها ونعرف طريق الاحتراز عنها
ونورد ما ورد من الاخبار والاثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر افة الكلام
فيما لا يعني ثم افة فضول الكلام ثم افة الخوض في الباطل ثم افة المرا والمجادلة ثم افة
الخصومة ثم افة التقعر في الكلام بالتكلف وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما (التشدق)
جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم افة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم افة اللعن
اما لحيوان او جماد او انسان ثم افة الغنا والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم
من الغنا وما يحل فلا نعيده ثم افة المزاح ثم افة السخرية والاستهزاء ثم افة افشا السر ثم
افة الوعد الكاذب ثم افة الكذب في القول واليمين ثم افة الغيبة ثم افة النميمة ثم افة ذي
اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بما يوافقه ثم افة المدح ثم افة الغفلة عن دقايق
الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم افة السوال اعني سوال
العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف انها قديمة او محدثة وهي تمام الافات في العدد

وجملتها عشرون
بيان

بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه
فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة
وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر
لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى بيده الى
لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك
بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقي شر
قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق
اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر افة اللسان لما فرغنا
من ذكر افة الشهوتين البطن والفرج وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل
الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسيل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم
والفرج فيحتمل ان يكون المراد افة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد البطن لانه منفذه (بالفم)
وقال معاذ قلت يا رسول الله انواخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس
على مناخرهم الا حصايد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر
اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ
بلسانه ثم قال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة
رجل لا يامن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد
بن جبير مرفوعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصبح ابن ادم تناشد جوارحه تقول (اصبحت الاعضا كلها)
اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان عمر اطلع على ابي بكر
الصديق رضي الله عنهما وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله فقال ان هذا اوردني
الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شي من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته
وعن ابن مسعود انه كان على الصفا وهو يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم او اسكت تسلم من قبل ان تندم

قبل

قيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شيء تقوله او شيء سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر
الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي ان معاذ
بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت
انبأتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل
خيرا او ليصمت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او لسكت
سكت فسلم وقال سفيان قالوا لعيسى عليه الصلاة والسلام دلنا على عمل ندخل الجنة به قال
لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود
صلوات الله عليهما ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البراء قال جاء اعرابي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن وامر
بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال صلى الله عليه وسلم اخزن لسانك الا
من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ
علم ما يقول وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة
وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم
الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان لسان المؤمن من وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق
امام قلبه فاذا هم بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة
اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من كثر
كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به ٥
واما الآثار فقد كان الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنع به لسانه من الكلام
وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو
ما من شيء احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان ارسلته اكلني وقال
وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه

الشاحب هلاك كردن وانده كين كردن

ابو بكر رح

اقل

وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد
فان من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقال فيما لا ينفعه وقال ع
بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع
لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد
ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون
عند معاوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر قال اخشى الله ان كذبت واخشاكم
ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى
وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الآخر اني اذا تكلمت
بالكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت
عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت
وقيل اقام المنصور بن المعتمر لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم
بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند
المساء فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات
اللسان من الخطأ والكذب والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومات والغيبة ع
والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه والتحريف
آفات كثيرة وهي سباقة الى اللسان فلا تثقل على اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من
الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قل ما يقدر ان يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك علاه ع
من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع
ما فيه من جمع الهمة ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول
في الدنيا ومن حسابه في الآخرة وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على لزوم فصل ع
الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة
وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة
لا تفي بالضرر منفعته واما الذي لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان
وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وبقي ربعه وهذا الربع
فيه خطر اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام

امتزاجا يحتمل مدركه فلا يمكن الا بمحاذرة من عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره ولم تقطع
ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا ولقد
اوتي والله جوامع الكلم ولا يعلم ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا العلماء وفيما سنذكره
من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن
آفات اللسان ونبتدئ باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة
والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون آفة **الآفة الاولى** الكلام
فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة
والكذب والمراء والنفاق وغيره وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا
الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على
عمل لسانك وتستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت الكلام الى الفكر ربما كان
ينفتح لك من نفحات رحمة الله سبحانه عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله سبحانه وذكرته
لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ
بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بما
لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا
ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها
الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من
حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم
احد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك
الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره
وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه
فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتألية على الله
عز وجل قال هي امي يا رسول الله فقال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا
يغنيه ومعناه انما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم بما لا يعنيه حوسب عليه وان كان
كلامه مباحا فلا تتهيأ الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام

الحكم وجوامع
خواص
وهي عشرون
الآفات والرياء
رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقام اليه

فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا
باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو الله به سلامة
الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف
على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك
وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا
يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم فيما لا يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت
ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك
بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى
بالاحسان ماخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسأل عما كفيت
ولا اتكلم بما لا يعنيني وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر
عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال ان اسكت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله
عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين
ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر لتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر
في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد الكلام فيما لا يعنيك ان تتكلم بما لو سكت عنه لم تاثم ولم تستضر في حال
او مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رأيت فيها من جبال
وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ
البلاد ووقائعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تاثم ولم تستضر واذا بالغت في الاجتهاد
حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة
الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلق الله فانت مع ذلك كله مضيع زمانك
وانى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسأل غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال
مضيع وقتك وقد الجأت صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق
الى السؤال عنه آفة واكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته فتقول له هل
انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته
من ديوان عبادة السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان
سكت كان مستحقرا اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه

فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم بما يعنيك
السؤال عنه
سلام

فقد عرضته بالسؤال إما للرياء وإما للكذب أو للاستحقار والتعيير أو حيلة الدفع وكذلك
سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك
عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم أنتم وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من
أين فربما يمنعه مانع من ذكره فإن ذكره تأذى وإن استحيى لم يصدق ووقع في الكذب وكنت
السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسؤول ربما لا تسمح نفسه بأن
يقول لا أدري فيجيب عن غير بصيرة ولست أعني بالتكلم ما لا يعني هذه الأجناس فإن هذا
يتطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا يعني ما روي أن لقمان دخل على داود صلوات الله
عليه وهو يسرد الدرع فجعل يتعجب مما يرى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة فأمسك
نفسه ولم يسأل فلما فرغ قام داود فلبسها ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم
وقليل فاعله أي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل إنه كان يتردد إليه
سنة وهو يريد أن يعلم ذلك ولم يسأل فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك
ستر وتوريط في رياء وكذب هو مما لا يعني وتركه من حسن إسلام المرء فهذا حده
وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه والمباسطة بالكلام على
سبيل التودد أو تزجية الوقت بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله أن يعلم أن
الموت بين يديه وأنه مسؤول عن كل كلمة وأن أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة يقدر
على أن يقتنص بها الحور العين فإهماله وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم
وأما علاجه من حيث العمل فالعزلة وأن يضع في فيه حجرا وأن يلزم نفسه السكوت عن
بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل
شديد جدا **الآفة الثانية** فضول الكلام وهو أيضا مذموم وهذا يتناول
الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فإن من يعنيه أمر يذكره بكلام مختصر
ويمكنه أن يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة فذكر كلمتين فالثانية فضول أي
فضل عن الحاجة وهذا أيضا مذموم كما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر قال عطاء بن أبي
رباح إن من كان قبلكم يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى
أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أتنكرون أن عليكم حافظين
كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد أما يستحيي أحدكم لو نشرت

[هامش: ولم يكن رآها قبل ذلك صح]

[صحيفته]

صحيفته التي أملى صدر نهاره وكان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة
قال إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إلي من الماء البارد على الظمآن فأترك جوابه خيفة
أن يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند قول أحدكم للحمار
اللهم أخزه واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى
قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس وقد قال
صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب
الناس فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت
أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال
قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق
فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود أنذركم
فضول الكلام حسب امرئ ما بلغ به حاجته وعن مجاهد قال إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل
ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب عليه كذبه وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك
صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروي أن سليمان
بن داود بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فأخبروه أنه
مر في السوق فرفع رأسه ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان فقال عجبت من
الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون
وقال إبراهيم التيمي المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر
إنما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه
ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
فأكثر فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من باب فقال شفتاي وأسناني فقال
أما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم
قال ما أوتي رجل شرا من فضل في لسان وقال عمر بن عبد العزيز إنه ليمنعني من كثير من
الكلام مخافة التناهي به وقال بعض الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن
كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام

[هامش: المباهات]

احب اليه من الاستماع فان وجد من يكفيه فان في الاستماع سلامة ومن الكلام تزيينا وزيادة
ونقصانا وقال ابن عمر احق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو الدردا امرأة سليطة اللسان
فقال لو كانت هذه خرسا كان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس خلتان فضول المال
وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه
في الكلام الذي لا يعني **الآفة الثالثة** الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكايات احوال
النسا ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنيا وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم
المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام واما الكلام فيما لا يعني والاكثر مما يعني
فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل واكثر الناس
يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع
الباطل لا يمكن ان يحصى لكثرته وتفننه فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من
مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس يقع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها وقال
بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله
ما يظن انه تبلغ به ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيمة وان الرجل ليتكلم بالكلمة
من سخط الله ما يظن انها تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة قال وكان
علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال ابو هريرة ان الرجل ليتكلم
بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في نار جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها
في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل
واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله
وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجالس لهم فيقول توضؤوا فان بعض ما تقولون
شر من الحدث فهذا الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره
بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في الوصول اليها من غير حاجة دينية الى
ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة وحكايات ما جرى
من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث فيه خوض في الباطل

الناس ع

هوم

١٢

٧١

الآفة الرابعة المرا والمجادلة وذلك منهي عنه فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه
ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المرا فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك المرا وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المرا وهو مبطل
بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول
ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل
قوم بعد هدى الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المرا
والجدل وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه فقد بلغ حقيقة الايمان الصوم في الصيف
وضرب اعدا الله بالسيف وتعجيل الصلاة في يوم الدجن والصبر على المصايب واسباغ
الوضوء على المكاره وترك المرا وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن
فانك لن تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه عرضة للخصومات
اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمرا فانه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان
زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدل قال مالك بن انس ليس هذا الجدال من
الدين في شيء وقال ايضا المرا يقسي القلب ويورث الضغاين وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل
العلما فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رايت الرجل لجوجا مماريا معجبا برايه
فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى
السلطان وقال سفيان صاف من شئت ثم اغضبه بالمرا فليرمينك بداهية تمنعك
العيش وقال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدردا
كفى بك اثما ان لا تزال مماريا وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه
لتماري به ولا لتباهي به ولا لترايي به ولا تتركه حيا من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال
عيسى صلوات الله عليه من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه
ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تفارق اخاك عن قلى قال لاني لا
اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المرا والجدال اكثر من ان يحصى وقال صلى الله عليه وسلم ... وحد
المرا هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك
المرا بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن
متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل من جهة

الدجن هو الغيم الشديد على السماء

وقال صلى الله عليه وسلم كفى بك اثما ان لا تزال مماريا ع

النحو او من جهة اللغة والعربية او من جهة النظم والترتيب بسوء التقديم والتاخير وذلك يكون
تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في
المعنى فبان يقول ليس هو كما تقول فقد اخطات فيه من وجه كذا وكذا واما في قصده فمثل ان يقول هذا
الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان
جرى في مسالة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت عنه او السؤال
في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكار او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن
واما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور
والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل بل يحب ان يكون
هو المظهر له خطاه ليبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل
ما لا ياثم به لو سكت عنه واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار
نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها اما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى
ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الآخر
فهو مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان
مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا
مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج
الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما
يقدر عليه فيثور الشجار بين المتمارين كما يثور الهراش بين الكلبين فيقصد كل واحد منهما ان يعض
صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه والجامه واما علاجه فبان يكسر الكبر الباعث
له على اظهار فضله والسبعية الباعثة على تنقيص غيره كما سياتي ذلك في كتاب ذم الكبر وكتاب ذم الغضب
فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا
حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه وروي ان ابا حنيفة قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء
فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك
فما رايت مجاهدة اشد علي منها وهو كما قال فان من يسمع من غيره الخطا وهو قادر على كشفه
يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى
الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه

ويصدمه

والجدال

الهراش

ثوابا

ثوابا اشتد حرصه عليه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطا محض بل ينبغي للانسان
ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا راى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان
المجادلة تخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه
على امثالها لو ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتاكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل
بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن
ما يقدر عليه قال هشام بن عروة وكان يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة
مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع
عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد
هذه الصفات تشق مجاهدتها وهي ايضا مذمومة **الآفة الخامسة** الخصومة وهي
ايضا مذمومة وهي وراء المراء والجدال والمراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان
يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب
وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة
يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق قالت عائشة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة
فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبيد الله بن
ابي بكرة فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد
ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل
للقلب من خصومة قال فقمت لارجع فقال خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال عرفت ان الحق لي
قلت لا ولكن اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئا هو لك فان قلت فاذا كان للانسان
حق فلا بد له من الخصومة في طلبه وفي حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته
فاعلم ان هذا الذم الذي يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي
فانه قبل ان يعرف الحق في اي جانب هو يخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه ويتناول
الذي يمزج بالخصومات كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ولكنه يقتصر
على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي

فكيف بمجموعها

او قال بعضهم

ولا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء

يحمله في الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح
به فيقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني اذا اخذت منه هذا المال ربما رميته ولا ابالي
فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع
من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وايذا ففعله ليس
بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد
الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع
فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق
اللسان في عرضه فمن بدا بالخصومة فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه تشويش خاطره
حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب والخصومة مبدا
كل شر وكذلك الجدال والمرا فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ
اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته
سلم من الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما
يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون اثما ثم اقل ما يفوته في الخصومات والمرا والجدال طيب الكلام
وما ورد فيه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام
اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه
او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من
الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس
من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا لان الله تعالى يقول واذا حييتم
بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال
انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها اعدها الله عز وجل
لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر به خنزير فقال
له مر بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا لخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا
صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجد فبكلمة طيبة
وقال عمر رضي الله عنه البر شي هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكما كل كلام لا يسخط
به ربك تعالى الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك ثواب المحسنين وقال بعض الحكما

الكلام

٧٣

الكلام اللين يغسل الضغاين المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده الخصومة والمرا
واللجاج والجدال فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص العيش المهيج للغضب
الموغر للصدور. **الآفة السادسة** التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع
والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة
وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
والاتقيا من امتي برا من التكلف وقال صلى الله عليه وسلم ان ابغضكم الي الثرثارون المتفيهقون
المتشدقون وابعدكم مني مجلسا وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام
وقال صلى الله عليه وسلم الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصا وقال
عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجا عمر بن سعد الى ابيه يسأله حاجة
فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلا
بالسنتها وكانه انكر ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من
آفات اللسان ويدخل فيه ايضا كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك التكلف
السجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا
اكل ولا شرب ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب
وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع عليه بين بل ينبغي ان يقتصر في كل شي على مقصوده ومقصود الكلام
التفهيم للغرض وما ورا ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من
غير افراط واغراب لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ
فيه تاثير فهو لايق به واما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق
والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الريا واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل
ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه. **الآفة السابعة** الفحش والسب وبذاءة اللسان
وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله
لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان تسب قتلى بدر من المشركين وقال
لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شي مما تقولون وتوذون الاحيا الا ان البذا لوم وقال صلى الله عليه وسلم

شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون الوان الطعام

ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل
فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين
الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد اذانا
بما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة بذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث
وقال صلى الله عليه وسلم لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان
شعبتان من النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان هو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا البيان
في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا المبالغة في امور الدين وفي صفات الله تعالى
فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك
ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه
ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله التغامض والتغافل دون
الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق
وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي امامي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما احاسنهم
اخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يقال الفاحش المتفحش يوم القيمة في صورة كلب او في
جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوإ الداء اللسان البذيء والخلق
الدني فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة
ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه
واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق
بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول
والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل
اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف
بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا
بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط اولى من لفظ التغوط والخرء وغيرهما فان هذا يختص ولذلك
يستحسن في العادات الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة كذا او قيل
من وراء الستر كذا او قالت ام الاولاد كذا فالتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها

الفحش وكذلك من به عيوب يستحيي منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل
يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات
اللسان وقال العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه خراج فاتيناه
نسأله لننظر ما يقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما
التعيير والباعث عليه مخالطة الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه
يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا قال فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حمار قلت
يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني فهل علي من باس ان انتصر منه قال المستبان شيطانان يتعاويان
ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال
صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه
وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه فقالوا يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه قال
يسب الرجل فيسب اباه فيسب الآخر اباه

الآفة الثامنة اللعن لحيوان او جماد او
انسان وذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم
لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول
وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذا امرأة من الانصار على
ناقة فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني
انظر الى تلك الناقة تمشي لا يعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت لعن
الله اعصانا لله وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه
فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين والصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر رضي الله عنه
يومئذ بعض رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود وقال صلى الله عليه وسلم ان
اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على بعير فلعن بعيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال
ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف
بصفة تبعده من الله تعالى وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين والكافرين وينبغي ان يتبع
فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله تعالى بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى

صلى الله عليه وسلم

الله تعالى

ولا يطلع على غيبه الا اذا اطلعه عليه والصفات المقتضية للعن ثلاث الكفر والبدعة والفسق
وللعن في كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين
والمبتدعين والفسقة والثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى
والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض والزناة والظلمة واكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في
لعن اصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامض ولم يرد فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه
العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا والثالثة اللعن على
الشخص وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه
ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه
ثبت ان هولاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد
لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه
ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان
كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى
الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سوال الكفر
وهو في نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام
وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا
عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاعيان
تتقلب في الاحوال الا من اعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر
ولذلك كان يقول اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا
على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا
اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
يعني انهم قد يسلمون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جازت لعنته وجاز ذمه
ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ابا بكر عن قبر مر به
وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله عز وجل وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب
ابنه عمرو بن سعيد فقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال
ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل

في قنوته

فيه اذى

على ابي

على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف
الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يوتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا
للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل فانه يحب الله ورسوله ونهاه عن ذلك فهذا يدل
على ان لعنة الفاسق بعينه غير جائزة وعلى الجملة لعن الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر
في السكوت عن لعنة ابليس فضلا عن غيره فان قلت فهل يجوز لعنة يزيد لكونه
قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه او امر به قلنا هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله
او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة فانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم
يجوز ان يقال لعن الله ابن ملجم قاتل علي رضي الله عنه وقاتل ابو لولو لعنه الله عمر رضي الله عنه
فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق او كفر من غير تحقيق قال صلى
الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن
صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما
فان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان
يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال
معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض
للاموات اشد وقال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان
لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تسبوا الاموات فتوذوا به الاحياء وقال ايها الناس احفظوني في اصحابي
واخواني واصهاري لا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل
فهل يجوز ان يقال قاتل حسين لعنه الله والآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال
قاتل حسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة والوحشي قاتل حمزة عم
النبي صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن و
القتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت
خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان به والمومن ليس بلعان
فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون

ففي

فانهم افضوا الى ما قدموا

لا يخرج من المعيبين في الاشتغال بذكر الله اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابرهيم
كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون
ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انما هما كلمتان
تخرجان من صحيفتي يوم القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتي
لا اله الا الله احب الي من ان يخرج لعنة الله وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ح
اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله كل
طعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى
هذا لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل
ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن
الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقوله لا صحح الله جسمه ولا سلمه
الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه
ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيمة **الآفة التاسعة** الغناء والشعر وقد ذكرنا
في كتاب السماع والوجد ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما الشعر فكلام حسنه
حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلي
بطن احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلي شعرا وعن مسروق انه سئل عن
بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر
وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير
من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب
ويدخلها الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا ان يهجو الكفار والتوسع في المدح
وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر

ولو لم يكن في كفه غير نفسه ٭ لجاد بها فليتق الله سائله

فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كذابا وان كان
سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر لا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشدت بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشعار لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منه وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يخصف

قالت فنظرت

يخصف نعله وكنت اغزل الصوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه يعرق وجعل
عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك
فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو راك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره
قال وما يقول يا عائشة ابو كبير الهذلي فقلت يقول

ومبرأ من كل غبر حيضة ٭ وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى اسرة وجهه ٭ برقت كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام الي فقبل ما بين عيني وقال بيني م
جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسروري منك ولما قسم الغنائم امر للعباس بن مرداس
باربع قلائص فاندفع يشكو في شعره وفي اخره

وما كان بدر ولا حابس ٭ يفوقان مرداس في المجمع يسودان
وما كنت دون امرئ منهما ٭ ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار
مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقول الشعر يا رسول الله
فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني كدبيب
النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين **الآفة العاشرة**
المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة فيها ايذاء لان فيها تكذيبا للاخ والصديق
او تجهيله فاما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي
عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة فانها اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح عليه
ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك
تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور
فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر صلى الله عليه وسلم
ان يمزح ولا يقول الا حقا واما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد

من المزاح قال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف
به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه
مات قلبه ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال رجل لأخيه يا أخي هل أتاك أنك وارد النار قال نعم
قال فهل أتاك أنك خارج منها فقال لا قال ففيم الضحك قال فما رئي ضاحكا حتى مات وقال
يوسف بن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل إن عطاء السلمي لم يضحك أربعين سنة
ونظر وهيب بن الورد إلى قوم يضحكون في يوم عيد فطر فقال إن كان هؤلاء غفر لهم فما هذا
فعل الشاكرين وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن أبي يعلى يقول أتضحك العظيم
ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو
يبكي وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلا يبكي ألست تعجب من بكائه قال بلى قال فالذي يضحك
في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك فالمذموم منه أن يستغرق ضحكا
والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعبة
فسلم فجعل كلما دنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله نفرت به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصته فقتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد
صرعته قلوصه فهلك فقال نعم وأفواهكم ملأى من دمه وأما إذا أدى المزاح إلى إسقاط الوقار فقد
قال عمر من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي أمي لا تمازح الصبيان فتهون رضي الله عنه
عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني
فيجترئ عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجر إلى فيجترئ
القبيحة تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فبحديث حسن من أحاديث الرجال وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتدرون لم سمي المزاح مزاحا قال لأنه زاح عن الحق وقال لكل شيء بذر وبذر العداوة قالوا لا
المزاح وقال المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للأصدقاء فإن قلت قد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه فنقول إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
أن يمزح ولا يقول إلا حقا ولا يؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحيانا على الندور فلا حرج عليك
فيه ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور مع الزنوج أبدا لينظر إلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطأ إذ من الصغائر
ما يصير كبيرة بالإصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالدوام فلا ينبغي أن يغفل عن هذا
نعم روى أبو هريرة أنهم قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا فقال إني وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقا ابن عباس
وقال عطاء إن رجلا سأل ابن عباس فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال نعم
فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس إنه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه
ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي الله وجري منه ذيلا كذيل العروس وروى أنس أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان من أفكه الناس وروي أنه كان كثير التبسم وعن الحسن قال أتت عجوز إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال إنك لست يومئذ بعجوز
قال الله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين وروى
زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن زوجي يدعوك فقال
ومن هو أهو الذي بعينيه بياض فقالت والله ما بعينيه بياض لم يرد به البياض الذي هو محيط
بالحدقة وجاءت امرأة أخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحملك على ولد البعير فقالت ما أصنع به لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم هل من بعير إلا وهو ابن بعير
وكان يمزح بهذا وقال أنس كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير فكان رسول الله صلى الله عليه
يأتي إلى عمير يقول له يا أبا عمير ما فعل النغير لنغر كان يلعب به وهو ولد العصفور وقالت عائشة
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالي
حتى أسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه فاستبقنا فسبقني فقال
هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوما ونحن بذي المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال
أعطينيه فأبيت وسعيت فسعى على أثري فلم يدركني وقالت عائشة سابقني رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عائشة كان عندي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرا وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا أحبه
فقلت والله لتأكلن أو لألطخن وجهك فقالت ما أنا بذائقته فأخذت من الصحفة شيئا فلطخت
به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

بضحك وروي ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال له ان عندي امراتان احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احداهما فتتزوجها
وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت اهي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها
واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسالة عائشة اياه لانه كان دميما وروى علقمة
عن ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسين بن علي فيرى الصبي لسانه
فيهش اليه فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي ابن رجلا تزوج وبقل وجهه وما قبلته
قط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه المطايبات منقولة مع
النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل
الى هزل وقال صلى الله عليه وسلم لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد العين
فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى
نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فاطلع رسول
الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم انصرف فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال
فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة
وبعدما قدمت المدينة حتى اطلع علي وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني
انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت
فقام فكنت اتفرر منه حتى لحقني وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال يا ابا عبد الله
اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر
الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري رجلا
مزاحا وكان يشرب الخمر فيوتى به النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم
فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الانصار لعنك الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل
فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشتراها ثم جاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم
ويقول اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه فيقول يا رسول الله لم يكن عندي ثمنه
واحببت ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فيقول يا رسول الله ويامر لصاحبه
بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمطايبة والمواظبة عليها هزل
مذموم وسبب للضحك المميت للقلوب ٥ **الافة الحادية عشر** السخرية والاستهزاء وهو محرم

مهما كان موذيا كما قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء
ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد
يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزا به
لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها ما احب اني حكيت انسانا
ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم والكبيرة الاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك
وهو اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل
احدكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب الجنة فيقال
هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه ثم يفتح له باب اخر فاذا اتاه اغلق دونه فما
يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن جبل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل ذلك يرجع
الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة واستصغارا له والغفلة وعليه نبه قوله تعالى
عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق
من يتاذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من السخرية كانت السخرية من جملة المزاح
معه وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما المحرم استصغار يتاذى به المستهزا به لما فيه من
التحقير والتهاون وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم وتارة
على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على صورته وخلقته اذا كان
قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها ٥
الافة الثانية عشر افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف
والاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال
مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك وروي ان معاوية
اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابت ان امير المؤمنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي
عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار
عليه قال فقلت يا ابت ان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك

باحاديث السر قال فاتيت معاوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطا فافشا السر
خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان
السر في كتاب ادب الصحبة فلا نعيده ٥ الافة الثالثة عشرة الوعد الكاذب فان
اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفا فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات
النفاق وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة
عطية وقال الوأي مثل الدين او افضل والوأي الوعد وقد اثنى الله عز وجل على نبيه اسمعيل
صلوات الله عليه فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا قيل انه واعد انسانا في
موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة
فقال انه كان خطب الي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى
الله بثلث النفاق اشهدوا اني قد زوجته ابنتي وقال عبد الله بن ابي الخنسا بايعت النبي صلى
الله عليه وسلم فوعدته ان آتيه بها في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ها هنا منذ ثلاث انتظرك
وقيل لابرهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجي قال ينتظر ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلاة
التي تجي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد
وعدا الا قال ان شا الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفا
الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى
يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من
وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفا من غير عذر فاما من عزم على الوفا فعن له عذر منعه من الوفا لم
يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز
من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم ابن التيهان خادما فاتي بثلاث من السبي فاعطى اثنين وبقي
واحد فاتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب منه خادما وتقول الا ترى اثر الرحى
بيدي فذكر رسول الله موعده لابي الهيثم فاثره على فاطمة لما سبق من وعده مع انها كانت تدير الرحا

فنسيت يومي والغد فاتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه صح

بيدها

٧٩

بيدها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنايم هوازن بحنين
فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ما
شئت فقال احتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي لك ولقد احتكمت
يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت احزم واجزل حكما منك حين حكمها
موسى عليه السلام فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة قال فكان الناس يضعفون
ما احتكم به حتى جعل مثلا فقيل اشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال صلى الله عليه وسلم
ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته
ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه ٥ الافة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين وهو من
قبايح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن ابي واسط سمعت ابا بكر يخطب بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى
فقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان
الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر
والعلانية في القول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق
وانت له كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب
ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان
شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الاخر والله لا ازيدك
على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال
صلى الله عليه وسلم الكذب ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول
الله اليس قد احل الله البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فياثمون ويحدثون فيكذبون وقال
صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته
بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فادخل فيها
مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فية فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه وعلى اصحابه
ورجل كان له جار سو يوذيه فصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع قوم

مطلب في الكذب

الصديق رضي الله عنه

في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فانتهى يصل حديد فقط
لرجل وثلاثة يشناهم الله التاجر الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله
عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم رايت
كان رجلا جاني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قايم والاخر جالس بيد القايم
كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب
الاخر فيمده فاذا مده رجع الاخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا فقال هذا رجل كذاب
يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله هل يزني المومن قال قد يكون ذلك قال يا رسول الله هل يكذب المومن
قال لا ثم اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات
الله وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي
من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب
وعايل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي صغير
فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما اردت ان تعطيه قالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال صلى الله
عليه وسلم لو افاء الله تعالى علي نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا
ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكيا الا اخبركم باكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق
الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب
الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم
تكفلوا لي بست اتكفل لكم بالجنة قالوا وما هي يا رسول الله قال اذا حدث احدكم فلا يكذب
واذا وعد فلا يخلف واذا اوتمن فلا يخن غضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه
فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر بالجابية فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم
فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف
ويشهد ولم يستشهد وقال صلى الله عليه وسلم من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين

وقال

عز وجل

وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امري مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه
غضبان ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وسلم
كل خصلة يطبع او يطوى عليها المومن ليس الخيانة والكذب وقالت عايشة رضي الله عنها
ما كان من خلق اشد على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم انه
قد احدث لله عز وجل منها توبة وقال موسى صلوات الرحمن عليه يا رب اي عبادك خير
عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمان لابنه يا بني اياك
والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقليه صاحبه وقال صلى الله عليه وسلم في مدح
الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة
وحسن خلق وعفة طعمة وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته بعد وفاة النبي صلى
الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى فقال عليكم
بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اوصيك
بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وبذل السلام وخفض الجناح ٥
واما الاثار قال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة
ندامة يوم القيمة وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت علي ازاري وقال
عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا
اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال جلست
اكتب كتابا فاتيت على حرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت
من جانب البيت يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله
الظالمين وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني
اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل
يسمى فاسقا قال نعم وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا وتعرض خطبته
على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا
نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه
وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شي فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه

رضي الله عنه

بيان ما رخص فيه من الكذب

اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر او غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشي
على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب
محصل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا وقال ميمون بن مهران الكذب في
بعض المواطن خير من الصدق ارايت لو ان رجلا سعى باحد وراءه بالسيف فدخل دارا فانتهى اليه فقال
رايت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق بهذا الكذب واجب فنقول
الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه
حرام وان لم يمكن التوصل اليه بالصدق ويمكن بالكذب فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل
ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان
في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب
او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بالكذب فالكذب فيه مباح الا انه ينبغي
ان يحترز منه ما امكن لانه اذا فتح على نفسه باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه
والى ما لا يقتصر فيه على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الاصل الا لضرورة والذي يدل على
الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب
الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث
امراته والمراة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح
بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين رجلين ليصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع
بين رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك
ولفلان فقد سمعته يحسن الثناء عليك ولقيت الاخر فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت
اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو يعني
بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب على اهلي قال لا خير في
الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك ويروى ان ابن ابي عذرة الدؤلي وكان في خلافة
عمر كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك قام
عبد الله بن ارقم حتى ادخله بيته وقال لامراته انشدك الله هل تبغضيني قالت لا تنشدني

قالت

على المخاطب

مطلب في الكذب ورخصه

بعد ذلك ثم

بهن فلما علم بذلك

لا انشدك بالله قالت نعم فقال لابن ارقم اتسمع ثم انطلقا حتى اتيا عمر فقال انكم لتحدثون اني اظلم النسا
واخلعهن فسل ابن ارقم فساله فاخبره فارسل الى امراة ابن ابي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال لها
انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضيه فقالت اني اول من تاب وراجع امر الله انه ناشدني
فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المومنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن لا تحب احدنا
فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت التي تبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب
وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت
الفراش في النار كل الكذب مكتوب لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة
او يكون بين رجلين شحنا فيصلح بينهما او يحدث امراة يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم
الا ما نفع به مسلم او دفع عنه وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب
خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود
صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه ظالم ويساله عن ماله فله ان ينكر او ياخذه السلطان
فيساله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر فيقول ما زنيت وما سرقت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى
وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يوخذ
ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه فله
ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها
احب اليه او كانت امراته لا تطيعه الا بوعد ما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها
او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن
الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل
احدهما بالاخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع
من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق
وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب مباح لضرورة
او حاجة مهمة فان شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب
المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك

ذلك

اعراضه ويهول الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا يجوز المسامحة لحق الغير والاضرار به
واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هي لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا
حتى ان المراة لتحكي عن زوجها ما تفتخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت
اسما سمعت امراة تسال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا
يفعل اضارها بذلك فهل علي فيه شي فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط
كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي
ليس يثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري
وهذا حرام ومما يلتحق بالنسا الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد
او تخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح
ايضا يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح
ويتطرق اليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما
يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم
ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع من الصدق او لا وذلك غامض جدا والحزم
في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما يودي الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف
كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا
ان القصد منه صحيح وهو خطا محض اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا
مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب
ففيما ورد من الايات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط
وقعها وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويودي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم
خير هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شي

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما ان في المعاريض
ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان

والضرورة

الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة فلا يجوز التعريض والتصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال
المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي
منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شي فكرهت ان تكذب
فقل ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شي فيكون قوله ما حرف النفي عند المستمع وعنده
الابهام وكان معاذ عاملا لعمر فلما رجع قالت امراته ما جئت به مما ياتي العمال اهليهم من شي
وما كان جاءها بشي فقال كان معي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر فبعث معك عمر ضاغطا فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما سمع بذلك عمر دعا
معاذا فقال بعثت معك ضاغطا فقال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه
شيئا وقال ارضها به وقوله ضاغطا يعني ربه تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك
سكرا ولكن يقول ارايت لو اشتريت لك فانه ربما لا يتفق وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار
من يكرهه قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس هو هنا كيلا يكون كاذبا
وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعي الاصبع فيها وقولي
ليس هو هنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب وان
لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز
فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المومنين فكنت اقول جزا الله امير المومنين
خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب اياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقرير
الوهم على ظن كاذب لاجل غرض التفاخر وهو غرض باطل لا فايدة فيه نعم المعاريض مباحة
لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وفي عين
زوجك بياض ونحملك على ولد البعير فاما الكذب الصريح مثل فعل نعيمان في قصة الضرير
مع عثمان اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم ان امراة
قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يودي الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا مطايبة فلا
يوصف صاحبه بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل
المرء الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله صلى
الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه
غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة

في المبالغة كقولك قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات
بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان طلبه مرات لا
يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وان لم يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان
بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول
لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت
عميس كنت صاحبة عائشة رضي الله عنها التي هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة رضي الله عنها قالت
فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فاخذته على
حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت
فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب — لا نشتهيه
حتى تكتب الكذيبة كذيبة وكان اهل الورع يحترزون من التسامح بمثل هذا وقال الليث بن سعد — الكذيبة
كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا
الرمص فيقول فاين قول الطبيب لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع
ومن تركها انسل لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت
الربيع عائدة لبني له فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس الربيع فقال ارضعتيه فقالت لا — بن خثيم م
قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه وقال عيسى عم
ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم — العبد
فيه عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اعظم الفرية ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يري — الافترا
عينيه في المنام ما لم تريا او يقول علي ما لم اقل وقال صلى الله عليه وسلم من كذب في حلمه كلف
يوم القيمة ان يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد بينهما ابدا ٥ الآفة الخامسة عشر

الغيبة والنظر فيها طويل فلنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص
الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال تعالى ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا
وكونوا عباد الله اخوانا وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام عرضه ودمه وماله وعن جابر

وابي سعيد

١٢٤

وابي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا فان الرجل
قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال
انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافرهم
فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال
سليم بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به فقال لا تحقرن
من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا
تغتابه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال يا
معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من
تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته واوحى الله تعالى
الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها
فهو اول من يدخل النار وقال انس امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن
احدكم حتى آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا فجعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت
صائما فائذن لي لافطر فياذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهل
بيتي ظلتا صائمتين وانهما تستحيان ان ياتيك فائذن لهما فليفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما — رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين
ان يستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي — لعله لهم
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية
انه لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح
ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل
الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس
وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل
من الربا اعظم عند الله من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربا عرض الرجل المسلم — في الخطيئة م
وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحبهما فقال اما
انهما يعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله

ودعى بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر فقال صلى الله عليه وسلم
اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وسلم بجيفة فقال
انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وكان
الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه
عادة المنافقين وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة فقيل
له كله ميتا كما اكلته حيا فياكله ويضج ويكلح ويروى مرفوعا كذلك وروي ان رجلين كانا
قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء
فاقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في انفسهما ما قالا فاتيا عطاء فسالاه فامرهما
ان يعيدا الوضوء والصلاة وامرهما ان كانا صائمين ان يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد
في قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا
ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقال الحسن والله
للغيبة اسرع في دين المؤمن من الاكلة في الجسد وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا
يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا
اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه
ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان
حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدا باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا
فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله عز وجل من كان هكذا وقال
مالك بن انس مر عيسى عليه السلام والحواريون معه بجيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح
هذا الكلب فقال عيسى ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر من
شيء من خلق الله الا احسنه وسمع علي بن الحسين رجلا يغتاب آخر فقال له اياك والغيبة
فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء

بيان معنى الغيبة وحدودها

اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه او في
فعله او في قوله او في دينه او دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته واما البدن فكالعمش والحول والقرع

والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه واما النسب فان يقول
ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال او شيء مما يكرهه كيف كان واما الخلق
فبان يقول انه سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور
وما يجري مجراه واما في افعاله المتعلقة بالدين فكقولك سارق وكذاب وشارب وخائن وظالم
ومتهاون بالصلاة والزكاة ولا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز من النجاسات وليس بارا بوالديه
ولا يضع الزكاة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه من الرفث والغيبة والتعرض لاعراض
الناس واما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس ولا يرى لاحد عليه حقا
ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم ينام في غير وقته ويجلس في غير
موضعه واما في ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقد قال قوم لا غيبة في الدين لانه
ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امراة
وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت امراة اخرى بانها بخيلة فقال
فما خيرها اذا وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم
يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة
ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة
وكل هذا وان كان صادقا فيه فانه به مغتاب عاص لربه آكل لحم اخيه بدليل ما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما
يكرهه قال ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن
فيه فقد بهته وقال معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم فقالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد
بهتموه وعن حذيفة عن عائشة انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اغتبتها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان بما ليس فيه والافك ان تقول
ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته
وذكر ابن سيرين ابراهيم النخعي ولم يقل الاعور وقالت عائشة لا يغتابن احد احدا فاني قلت
لامراة مرة وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال لي الفظي الفظي فلفظت
بضعة من لحم

بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم ان

ذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل
فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل
في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قالت عايشة دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي اي
قصيرة فقال عليه السلام قد اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو
اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة حكت امراة
فقال ما يسرني اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا والغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف
شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شي من الاعذار المحوجة الى
ذكره كما سياتي واما قوله قوم كذا وكذا فليس ذلك بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما
حي واما ميت ومن الغيبة ان يقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من راينا اذا كان المخاطب
يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا كره من انسان شيا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين
وقولك بعض من قدم من السفر او بعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص
فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صفة اهل الصلاح
ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين
الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول
على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحيا ونسال الله ان يعصمنا
منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من
يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه
فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره
ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه
فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب
الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده
عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول
سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي اليه المغتاب ويعلم ما يقول فيذكر الله ويستعمل اسمه
آلة له في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول لقد ساءني ما جرى على

Margin: عليه السلام م — قال م — المرائين

صديقنا من الاستخفاف فنسال الله تعالى ان يروح سره ويكون كاذبا في دعوى الاهتمام بهمه وفي
اظهار الدعاء له فانه لو قصد الدعاء لاخفاه في خلوة عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار
ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر
الدعاء والله تعالى مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض
له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد
نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبت مما ذكرته
ما كنت اعلم بذلك الى الآن وما كنت اعرفه الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلايه فان
كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا
لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا به الخبز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه قال بلى انكما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان احدهما القايل
والآخر المستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة
فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام
او قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشتهي بقلبه فذلك نفاق
ولا يخرجه من الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان
ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه تصريحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤوس الخلايق وقال ابو الدرداء
قال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يرد عن عرضه
يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه
من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب ادب الصحبة
وحقوق المسلم فلا نطول بالاعادة والله سبحانه وتعالى يهدينا سواء السبيل

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة والله اعلم

ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل
الدين والخاصة اما الثمانية فالاول ان يشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه
فاذا هاج غضبه تشفى الغيظ بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع اذا لم يكن دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ

Margin: الطريق م — رضي الله عنهما ان — فلم ينصره م

عند الغضب يتخفى الغضب في الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب
من البواعث العظيمة على الغيبة ۞ الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام
فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم
ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان
يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي ۞
الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد
عليه بشهادة فيبادر قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما
فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به فيقول ما من عادتي
الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت ۞ الرابع ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرأ
منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره
اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله ۞ الخامس
ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك
وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم
مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك ۞ السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه
ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط
ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه
واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه
والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق ۞ السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية
الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس به على سبيل المحاكاة والتعجب ۞ الثامن السخرية والاستهزاء
استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور فيجري ايضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به
واما الاسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خبأها
الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر ۞ الاول ان تنبعث من الدين داعية
التعجب في انكار المنكر والخطا في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون به صادقا ويكون
تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتابا
من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي

فلان

فلان وهو جاهل ۞ الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما
ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير مغتابا به فيكون
غمه ورحمته خيرا وكذا التعجب ولكن ساقه الى شر من حيث لا يدري والتعجب والرحمة ممكن دون ذكر
اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه ۞ الثالث الغضب لله فانه
قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان
يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض
دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله
كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر
الاسم كما سياتي روي عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم
عليهم فردوا عليه فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا في الله فقال اهل المجلس بئس والله ما
قلت ثم قالوا قم يا فلان لرجل منهم فادركه فاخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحكى له ما قال وساله ان يدعوه فدعاه وساله فقال قد قلت ذلك فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خبير والله ما رايته يصلي صلاة قط الا هذه
المكتوبة قال فاسأله يا رسول الله هل رآني قط اخرتها عن وقتها او اسأت الوضوء لها او الركوع او السجود
فيها فساله فقال لا فقال والله ما رايته يصوم قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال
فاسأله يا رسول الله هل رآني قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فساله فقال لا فقال والله ما
رايته يعطي سائلا ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيئا في سبيل الله الا هذه الزكاة التي
يؤديها البر والفاجر قال فاسأله يا رسول الله هل رآني نقصت منها شيئا او ماكست فيها طالبها الذي
يسالها فساله فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل قم فلعله خير منك ۞

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن
سببه وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والآخر على التفصيل اما
الذي على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها
محبطة لحسناته فانه ينقل يوم القيامة حسناته الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم يكن له
حسنات نقل اليه من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار

بان يرجح كفة سيئاته وربما ينقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل به الرجحان ويدخل بها النار
وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المطالبة والمخاصمة والسؤال والجواب
والحساب قال صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي
ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي اني احكمك في حسناتي
فمهما امن العبد بما وردت به الاخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا
ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى
لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحي من ان يترك نفسه
ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان
ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة
فقد ذم الصانع وقال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه كان
لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوث نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس
واكل لحوم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل
بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره فاذا كان
لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضى لنفسه فهذه معالجة جملية
اما التفصيل فهو ان ينظر الى السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع
سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سياتي في كتاب افة الغضب وهو ان يقول
اني امضيت غضبي عليه لعل الله ان يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها واستجرات على نهيه واستخففت
بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى
وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وسلم
من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله عز وجل يوم القيمة على رءوس الخلائق حتى يخيره في
اي الحور شاء وفي بعض كتب الله يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق
واما الموافقة فبان تعلم ان الله عز وجل يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضى المخلوقين فكيف
ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك
لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذ ذكروه بالسوء فانهم
عصوا ربك بافحش الذنوب وهي الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير

فيعالجه

فتعالجه

فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الله الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط
الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الاخرة
وتخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله تعالى لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا
غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان
ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله لا
يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته
سفه عقلك ثم ما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع
بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردي نفسها من الجبل فهي ايضا
تردي نفسها ولو كان لها لسان ناطق وصرحت بالعذر لقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت نفسها
فكذلك افعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك
واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته
ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك
اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو حصل
لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد
فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت
اليه عذاب الاخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك ايضا خاسرا في الاخرة لتجمع بين
النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذا انت صديقه
وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك او تنقل سيئاته
اليك ولا تنفعك فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار
فضل محسودك فقد قيل • واذا اراد الله نشر فضيلة • طويت اتاح لها لسان حسود •
واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند
الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وخجلتك وحيائك وخزيك يوم القيمة يوم
يحمل سيئات من استهزات به ويساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك
لكنت اولى بالضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك في القيمة
على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا

بنعمة الله اياه وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس
فاستنطقك بما ينقص من حسناتك فيما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج من
كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك او نقصت من حسناتك
وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة فانما حبب اليك الشيطان الغيبة واما التعجب اذا
اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه و
مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله تعالى سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذا علاج
جميع ذلك المعرفة فقط والتحقيق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف
عن الغيبة لا محالة ۵

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي
الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على
غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن
المنهي عنه ان تظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقد قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا
من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس
لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك الا
ان تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان
يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق
بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد
واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به وان كان يتصور ان يصدق الفاسق في خبر حتى ان من استنكه فوجد
في فيه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون تمضمض بالخمر ومجه وما شربه او حمل عليه قهرا
فكل ذلك دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله
حرم من المسلم ماله ودمه وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو
بعين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك
وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان فان ما رايته منه يحتمل الخير والشر فان قلت
فبماذا تعرف عقد سوء الظن والشكوك تختلج والنفوس تحدث فاقول امارة عقد سوء الظن ان
يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام
عليه

فهذه امارات عقد سوء الظن وتحقيقه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن له منهن مخرج فمخرجه
من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما
في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهية وفي الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب
بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وان المؤمن
ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته واما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى
تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته كنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا
في سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بالواحد وتسيء بالاخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة
او تعنت فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند
ذلك ان تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور كان حاله في ستر الله
عني وكان امره محجوبا وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا
تحاسد بينه وبين المذكور ولكن يكون من عادته ما ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا
في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته
وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة
من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك
الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه
لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عليه بدالة الوعظ وليكن قصدك
تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه لذلك
من غير نصيحتك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك فقد جمعت بين اجر الوعظ واجر
الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن
ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء
الظن والتجسس منهي عنه في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل
الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان اسلم لقلبك ولدينك وقد
ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم التجسس وحقيقته ۵

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة

اعلم ان المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة

وهي ستة الأول التظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان عاصيا مغتابا
إن لم يكن مظلوما أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم
إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به وقد قال صلى الله عليه وسلم إن لصاحب الحق مقالا وقال مطل الغني
ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى نهج الصلاح
كما روي أن عمر مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنهم فسلم عليه فلم يرد فذهب إلى أبي بكر
رضي الله عنه فذكر ذلك له فجاء أبو بكر ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك
لما بلغ عمر رضي الله عنه أن أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب إليه كتابا بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول عمر
لا إله إلا هو إليه المصير فتاب ولم ير ذلك ممن أبلغه غيبة إذ كان قصده أن ينكر عليه فينفعه
نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وإنما إباحة ذلك بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان
حراما الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني أبي أو زوجي أو أخي فكيف طريقي في الخلاص والأسلم
التعريض بأن يقول ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما
روي عن هند أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي
أفآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها
ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلم من الشر فإذا
رأيت فقيها يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه
مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة أو الفسق لا غيره وذلك موضع الغرور إذ قد يكون الحسد هو
الباعث ويلبس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت
المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري
أولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي إذا سئل عن الشاهد فله الطعن إن علم مطعنا وكذلك المستشار في التزويج وإيداع الأمانة
له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله
لا يصلح لك فهو الواجب فإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بعيبه فله أن يصرح به قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أترعون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة
لا غيبة لهم الإمام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الإنسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه
كالأعرج والأعمش فلا إثم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج وسليمان عن الأعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء

ذلك

ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن صار مشهورا به نعم
لو وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى البصير عدولا
عن اسم النقص السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة
الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فإذا ذكر
فيه ما يتظاهر به فلا إثم عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا
غيبة له وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر إذ المستتر لا بد
من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه
غيبة قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق
والإمام الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك
وهم يقصدون إظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به أثم وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت
الحجاج فقال ابن سيرين إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وإنك
إذا لقيت الله غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج

بيان كفارة الغيبة

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب
ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ المرائي قد يستحل
ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية أخرى وقال
الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما احتج في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته أن تستغفر له وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك
أن تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من الغيبة فقال أن تمشي إلى صاحبك
فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فإن شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا
هو الأصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب
في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال
من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا
درهم إنما يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته
وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخرى إنها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فلا بد من

الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر له الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات
فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن
وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب
قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض
السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها
عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله ابدا فان قلت
فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرم الله عز وجل غير ممكن فنقول
المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل
قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد تصدقت
بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا ينفذ
صدقته فما معنى الحث عليه لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفا بان لا
يخاصم وان رجع وخاصم كان قياس سائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من اباح
القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو
افضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدي الله عز وجل يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره
على الله فلا يقوم الا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا فقال ان الله تبارك وتعالى يامرك ان تعفو
عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي عن الحسن ان رجلا قال له ان
فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من رطب وقال بلغني انك اهديت الي حسناتك فاردت
ان اكافئك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافيك على التمام ٥ **الآفة السادسة عشر**
النميمة وقد قال الله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم قال
عبد الله بن المبارك هو ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة
دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة
لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل كانت نمامة حمالة الحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا
عنهما من الله شيئا قيل كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح تخبر انه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم

لا يد

لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويولفون بين الاخوان الملتمسين
للبراء العثرات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال المشاؤون
بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اشاد على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيمة وقال
ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه
بها في الدنيا كان حقا على الله عز وجل ان يذيبه في النار يوم القيمة وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث
عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي
لا يسكن فيك ثمانية نفر لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث
ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم
لم يف به وروي كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى مرات فما اجيب فاوحى الله
تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى
اخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال
اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي آتاك الله من العلم
اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن
النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل
منه فقال له البهتان على البريء اثقل من السماوات والحق اوسع من الارضين والقلب القانع
اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب
الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم ٥

بيان حد النميمة وما يجب في ردها اعلم

ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما يقول فلان كان يتكلم فيك بكذا
وكذا وليست النميمة مخصوصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه
او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال

وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة صح

أو من الأقوال وسواء كان عيباً ونقصاً على المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النميمة إفشاء السر
وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت
عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه
أن يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فأما إذا رآه يخفي مالاً لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء
للسر فإن كان ما ينم به نقصاً أو عيباً في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على
النميمة إما إرادة السوء بالمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي له أو التفرج بالحديث أو الخوض في الفضول
وكل من حملت إليه النميمة وقيل له إن فلاناً قال فيك كذا أو فعل فيك كذا وكذا أو هو يدبر
في إفساد أمرك أو في ممالأة عدوك أو في تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور الأول أن
لا يصدقه لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة والثاني أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله قال الله تعالى
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر والثالث أن يبغضه في الله فإنه بغيض عند الله ويجب بغض
من يبغضه الله الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيراً من الظن
الخامس أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث للتحقيق قال الله تعالى ولا تجسسوا السادس
أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون به نماماً
ومغتاباً وتكون قد أتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل إليه رجل فذكر له
عن رجل شيئاً فقال عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية إن جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وإن شئت عفونا
عنك فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً فقال له الحكيم قد أبطأت عن الزيارة وأتيتني
بثلاث جنايات بغضت إلي أخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الأمينة وروي أن سليمان
بن عبد الملك كان جالساً وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني أنك وقعت
فيّ وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان إن الذي أخبرني صادق فقال
الزهري لا يكون النمام صادقاً فقال سليمان صدقت اذهب بسلام وقال الحسن من نم إليك نم عليك
وهذه إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب
والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعى في
قطع ما أمر الله به أن يوصل قال تعالى ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل وقال تعالى إنما السبيل على

[illegible]

الذين

الذين يظلمون الناس الآية والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام
منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل وما القاطع قال قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله
عنه أن رجلاً أتاه يسعى إليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقاً مقتناك وإن
كنت كاذباً عاقبناك وإن شئت أن نقيلك أقلناك قال أقلني يا أمير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي أي
خصال المؤمن أوضع له فقال كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن عامر
وكان أميراً بلغني أن فلاناً أعلم الأمير أني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرني بما قال لك
حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتم نفسي بلساني وحسبي أني لم أصدقه فيما قال ولا أقطع
عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة
من الناس إلا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية
دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعي فلو كان في
قوله صادقاً لكان في صدقه لئيماً إذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة إلا
أنها إذا كانت إلى من يخشى جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس إلى الناس لغير رشدة
يعني ليس هو لحلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذن في الكلام فقال
إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال قل فقال
يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله
ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ إليهم فيما استحفظك الله إياه
فإنهم لن يألوا الأمة خسفاً وللأمانة تضييعاً وللأعراض قطعاً وانتهاكاً أعلى قربهم البغي والنميمة
وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وأنت مسؤول عما أجرموا وليسوا مسؤولين عما أجرمت
فلا تصلح آخرتهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الأعجمي
إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل فقال يقول

فأنت امرؤ إما ائتمنتك خالياً ... فخنت وإما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا ... بمنزلة بين الخيانة والإثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد إن الأسواري ما زال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو ما رعيت حق
مجالسة الرجل حين نقلت إلينا حديثه ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره ولكن أعلمه أن الموت يعمنا
والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة إلى الصاحب ابن عباد رقعة

فلما بلغت اليه الرقعة وقراها ح

سعى بها على باب يتيم تحمله الى احد. لكثرته تكتب على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة
والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان لابنه
يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد
وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وآمنهم من قبول
ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك
لم تغتبهم ولم يغتابوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي
اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقل النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول
عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى وقال
حماد بن سلمة باع رجل عبدا فقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة فقال قد رضيت فاشتراه
فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي
الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك فيحبك
اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم فجاءت المراة بالموسى فظن
انها تقتله فقام فقتلها فجاء اهلها وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر ه

الآفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل
واحد بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال بينهما ح
عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان
من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله
يوم القيمة ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء وفي لفظ آخر
الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون
امينا عند الله وقال مالك بن دينار قرات في التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه
بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيمة كل شفتين مختلفتين وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابغض خليقة الله اليه يوم القيمة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون
البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا
بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة
قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات

كثيرة

كثيرة وهذا من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل
عليه حذيفة فقال عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصلي
عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك الله انا منهم ام لا فقال اللهم لا
ولا آمن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل ذي اللسانين ح
على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان
الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو
تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو
نقل كلام كل واحد الى الآخر فهو ذو اللسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد حينئذ ح
الجانبين فقط وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة فاذا انتقل من الجانبين فهو شر من النمام
لصاحبه فهذا ذو اللسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين في حضوره
وفي غيبته وبين يدي عدوه قيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا
غيره فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان
مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل خاف ان لم
يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل
وترك المال والجاه فاذا دخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله فاسق
صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج
الى الامراء والى مراعاتهم ومراءاتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان
اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت
عائشة استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل ايذنوا له ح
عليه اقبل عليه الرجل وراحته فلما خرج قال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب صريح ولا يجوز الا لضرورة او
اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق
وتحريك الراس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر
بلسانه فان لم يقدر فليسكت بلسانه ولينكر بقلبه والله سبحانه وتعالى يوفقنا ه

الآفة الثامنة عشرة المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنتان في الممدوح

وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما واذا خرج من عنده يذمه فهو ذو اللسانين ح

وقد ذكرنا حكمه والمدح يدخله ست آفات أربع في المادح واثنتان في الممدوح
فأما المادح فالأولى أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب وقال خالد بن معدان من مدح إماما
أو أحدا بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه الثانية أنه
قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله
فيصير به مرائيا منافقا الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع
عليه وروي أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ويحك
قطعت عنق صاحبك ثم قال إن كان لا بد أحدكم مادحا أخاه فليقل أحسب فلانا والله
حسيبه ولا أزكي على الله أحدا حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك وهذه الآفة تتطرق
إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وخير وما يجري
مجراه فأما إذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله إنه
عدل رضي فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة سمع عمر رجلا يثني على
رجل فقال أسافرت معه قال لا قال أخالطته قال لا قال والله الذي لا إله إلا هو
ما تعرفه الرابعة أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بالبقاء فقد
أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه فالظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح وأما الممدوح فيضره المدح
من وجهين أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر رضي الله عنه
قاعدا ومعه الدرة والناس حوله إذ أقبل الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك
يا أمير المؤمنين فقال ما لي ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت أن يخالط قلبك منها
شيء فأحببت أن أطأطئ منك الثاني هو أنه إذا أثني عليه بالخير فرح وفتر ورضي عن نفسه
ومن أعجب بنفسه قل تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسنة بالثناء
عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح
وقال صلى الله عليه وسلم إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه الموسى وقال أيضا لمن
مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء أو مدحة إلا تصاغرت إلي نفسي
قال زياد بن أسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع
قال ابن المبارك قد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلوب العوام وأما ما قاله مطرف فذلك

قلوب

قلوب

الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثني عليه
في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتر
عن العمل والمدح يوجب الفتور ولأن المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك
شبهه به فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما
كان مندوبا إليه ولذلك أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن إيمان
أبي بكر بإيمان العالمين لرجح وقال في عمر لو لم أبعث لبعثت يا عمر وأي ثناء يزيد على هذا
ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا أجل رتبة أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا
بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا
سيد ولد آدم ولا فخر أي لست أقول هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثناء على أنفسهم وذلك
لأن افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن المقبول عند الملك
قبولا عظيما إنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه
الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه إذ قال صلى الله عليه وسلم وجبت
لما أثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد إن لبني آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر أخاه المسلم
بخير قالت الملائكة ولك مثله وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته
اربع على نفسك واحمد الله إذ ستر عورتك فهذه آفات المدح ٥

بيان ما على الممدوح

اعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز من آفة الكبر والكبرياء والعجب وآفة الفتور ولا ينجو
منها إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فإنه يعرف من
نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع أسراره وما يجري في خواطره لكف المادح عن
مدحه وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المادح وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
احثوا التراب في وجوه المادحين وقال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه
وأثني على رجل من الصالحين فقال اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني وقال آخر
لما أثني عليه اللهم إن عبدك هذا تقرب إلي بمقتك وأنا أشهدك على مقته وقال علي
رضي الله عنه لما أثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما
يظنون وأثنى رجل على عمر فقال أتهلكني وتهلك نفسك وأثنى رجل على علي في وجهه وكان قد بلغه
رضي الله عنه

انه يتوعيه فقال علي رضي الله عنه انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك

الآفة التاسعة عشر الخطأ في فحوى الكلام لا سيما
فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا
العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله يعفو عنه
لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت
ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف
الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض امره
فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده
وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره قوله ومن يعصهما
لانه تسوية وجمع وكان ابرهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز اعوذ بالله ثم بك
ويقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقول اعتقنا من النار
ويقول العتق بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال
رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة ان الله يغني المؤمنين
عن شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابرهيم اذا قال الرجل للرجل
يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة رايتني خلقته خنزيرا رايتني خلقته حمارا وعن ابن عمر حمارا رايتني خلقته
ان احدكم يشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت قال
عمر والله ما حلفت بها منذ سمعته وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي ولا امتي كلكم عبيد الله
وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي
ولكن سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا
للفاسق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء
من الاسلام فان كان كاذبا فهو كما قال وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله
مما يجري في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من افات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه

لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الافات كلها مهالك ومعاطب
على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان
فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة وتقليل في الكلام فعساه يسلم من ذلك وهو
مع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم
فالسلامة احدى الغنيمتين الآفة العشرون سوال العامة عن
صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف قديمة او محدثة وحقهم الاشتغال بالعمل هل هي
بما في القران الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان
يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه
ذلك حتى يتكلم بما هو كفر ولا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهو اسلم له من ان يتكلم في العلم وكل كبيرة
لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد
به القران والتسليم لما جاءت به الرسل من غير بحث وسوالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء
ادب منهم يستحقون به المقت من الله سبحانه وتعالى ويتعرضون لخطر الكفر وهو
كسوال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب العقوبة وكل من سال عن علم غامض
ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسوالهم واختلافهم
على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وقال
انس بن مالك سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه
فصعد المنبر فقال سلوني لا تسالوني عن شيء الا انباتكم به فقام اليه رجل فقال من ابي
فقال ابوك حذافة فقام اليه اخوان شابان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي
تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله انا في الجنة او في النار فقال بل في النار فلما
راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام رضي الله عنه
دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمك الله فانك ما علمت لموفق وفي الحديث
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وكثرة السوال واضاعة المال وقال
صلى الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله فمن خلق الله
فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ

بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال وفي قصة
موسى والخضر صلى الله عليهما وسلم تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال
فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فلما سأل عن السفينة أنكر عليه
حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا
قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض العلم من أعظم الآفات
وهو من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم وخوضهم في حروف القرآن يضاهي
اشتغال من كتب إليه الملك كتابا يرسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه
في أن قرطاس الكتاب عتيق أو حديث فاستحق العقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامي
حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أو محدثة وكذا سائر صفات الله تعالى

تم كتاب آفة اللسان بعون الملك الديان يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب ذم الغضب

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب ذم الغضب والحقد

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا
الخائفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وأمرهم
بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره
واللذات ثم أملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون
وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم
لا يشعرون فقال ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا إلى أهلهم يرجعون والصلاة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه
النبيون (والمرسلون صح) وعلى آله وأصحابه الأئمة المهتدون والسادة المرضيون صلاة توازي عدد
عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ويحظى ببركتها الأولون والآخرون أما بعد
فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة وإنها لمستكنة
في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج
الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان
اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته

95

(والحرقة والاضطراب)

من طين فإن شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظي والاستعار والحركة والاضطراب
ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة
إذا صلحت صلح معها سائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق
العبد إلى مواطن العطب فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه
ويميطه عن القلب إن كان وينفيه ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه فإن من لا يعرف
الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه
ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم
الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان
القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة
العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في
إزالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني الأعمام والأقارب
وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

(وثلاثة عشر فصلا ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم صح)

(ثم بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب صح)

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين
بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا
تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا
وأقلل لعلي أعقله فقال لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلي لا تغضب وعن
عبد الله بن عمرو أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبعدني عن غضب الله قال لا تغضب
وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه
الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال أبو هريرة قال النبي
صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال
ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود (عليهما السلام صح) يا بني
إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا
وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال أبو الدرداء قلت يا رسول الله دلني

في عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا استطيع الا اغضب
انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال هذا عسى قال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان
كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال له رجل
اي شي اشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب ٥

الآثار قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك ان تثب وثبة فتقع في النار
وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب
فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك
والعجلة فانك ان عجلت اخطات حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا
عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعة فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع
فجاءه حتى ناداه فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح
فقال الراهب فان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا
القيامة فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك فقال اني انا الشيطان وقد اردت
ان اضلك فلم استطع فجئتك لتسالني عما شئت فاخبرك قال ما اريد ان اسالك عن شي
قال فولى مدبرا فقال له الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني آدم اعون
لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال
خيثمة الشيطان يقول وكيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب
طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار راس
الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل
شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو آدم فلم
يعجزوني في ثلاث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب
قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا
لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب
فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل
وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا
لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك

بلغ

واذا

95

واذا غضب على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به
خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا
ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تنال مني غدا
وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في التنانير
المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان
علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر اذا خطب قال
في خطبته افلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب وقال بعضهم من اطاع
غضبه وشهوته قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين
وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان
في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه
بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر
ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء
وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من
الانبياء لمن معه من يتكفل لي ان لا يغضب يكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال
شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا اوفي به فلما مات كان في منزلته بعده
وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان
الغضب والشهوة والخرق والطمع ٥

بيان حقيقة الغضب

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب
خارجة منه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه
اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الرطوبة والحرارة عداوة ومضادة
من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق
في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك
حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها
الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور
من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته

فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد صح

٩٥

واذا غضب على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به
خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا
ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا
وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في التنانير
المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان
علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل كان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال
في خطبته افلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب وقال بعضهم من اطاع
غضبه وشهوته قاده الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين
وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان
في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا يجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه
بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر
ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء
وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من
الانبياء لمن معه من يتكفل لي ان لا يغضب يكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال
شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا اوفي به فلما مات كان في منزلته بعده
وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان
الغضب والشهوة والخرق والطمع ○ **بيان حقيقة الغضب** اعلم
ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب
خارجة عنه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه
اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الرطوبة والحرارة عداوة ومضادة
من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق
في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك
حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها
الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور
من باطنه فيدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما

[Left margin:] ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد صح

في عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا استطيع الا اغضب
انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال هذا عسى قال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان
كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال رجل

[Pasted note:]
[illegible]
[illegible] للتعقيب [illegible]
[illegible] تقدير [illegible] الابتداء [illegible]
[illegible] للتبعيض [illegible]
الاوثان [illegible] التبعيض [illegible]
[illegible]
من اهل [illegible] الاصطلاح) الفعل [illegible] وهو القبيح
والحرام والمحظور [illegible] الواجب والفرض [illegible]
[illegible] المستحب والمندوب والنفل والتطوع والسنة [illegible]
فهو المكروه [illegible] مباح وحلال [illegible] الحكم قد يكون [illegible]
فالحكم بالصحة في العبادات [illegible] الشرع كالصلوة [illegible] الوضوء [illegible]
القبلة وغيرها والحكم بالصحة في المعاملات [illegible] البيع [illegible]
[illegible] المبيع عن ملكية البائع الى ملكية المشتري [illegible]
[illegible]
[illegible] الصدق [illegible] الكذب
[illegible]
[illegible]
[illegible] الكذب [illegible]

[Right margin:] [illegible]

م [illegible] غضبك

[illegible]

95

واذا غضب على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به
خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا

يجوز الكذب ... ولا يجب ولو يجوز الكذب ليجوز ان يجمع القرآن كذبا فلا نعتمد
على وعد الله ووعيده في القرآن ويحتمل ان الصدق والكذب ... فقد بطل الاحكام
ولزم ابطال الشريعة ... عقلا والوعد ... [illegible]
كان مباحا لانه منفعة وليس فيه مفسدة كما لا يخفى ... الامر هو اللفظ
الدال على طلب الفعل استعلاء وهو قصد ويستعمل ... في معنيين الاول القول
مخصوص فقول زيد امر عمرو ... افعل والثاني الفعل ... [illegible]
ولفظ الامر حقيقة في الاول مجاز في الثاني ... لرفع الاشتراك ... [illegible]
... الصيغة الدالة على الترجيح ... [illegible]
... [illegible]
صيغة افعل حقيقة في الوجوب ... [illegible]
للوجوب ... واجيب عنه بانه يجوز ان يكون ... [illegible]
في الوجوب ... السجود ... قال خلقتني من نار و
خلقته من طين ... واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ... [illegible]
حقيقة في الوجوب ... واجيب عنه
بانه يحتمل ان يكون ... [illegible]
... [illegible]
واجيب عنه بانه ... [illegible]
... المستفاد من قولهم ... حقيقة في الوجوب لكن صيغة افعل حقيقة في الوجوب
... [illegible]

الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات ...
من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما

فيه عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا استطيع الا اغضب
انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال هذا عسى قال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان
كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال له رجل
اي شيء اشد قال غضب الله سبحانه قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب ٥
الآثار قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك ان تثب وثبة فتقع في النار ويروى عن
ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب
فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك
والعجلة فانك ان عجلت اخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا
عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعة فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع
فجاءه حتى ناداه فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح
فقال الراهب فان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا بلغ
القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال اني انا الشيطان وقد اردت
ان اضلك فلم استطع فجئتك لتسألني عما شئت فاخبرك قال ما اريد ان اسألك عن شيء
قال فولى مدبرا فقال له الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني آدم اعون
لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال
خيثمة الشيطان يقول وكيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب
طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار راس رضي الله عنهما
الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل
شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو آدم فلم
يعجزوني في ثلاث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب
قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقال حكيم ما املك فلانا
لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب
فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل
وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا
لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك

واذا

وصد في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعل نار الغضب وثار ثورانا يغلي به
دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في
القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها
من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر
القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض
الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظيره
يشك في الانتقام منه تردد بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة
قوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما يتوجه هذه
القوة عند ثورانها الى دفع الموذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام
قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا يسكن الا به ثم الناس في هذه القوة على درجات
ثلاث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة
او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رحمه الله
من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص جدا وقد
وصف الله سبحانه خيار الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم
وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما
الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان يغلب هذه
الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعته فلا يبقى للمرء معها بصيرة ولا نظر
ولا فكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية
فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين
على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرودة المزاج
تطفئه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ
وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال
ولا احتمل من احد شيئا ولا اعقل الى ولا حلم من يذكر في معرض الفخر بجهله فمن سمعه
رسخ في قلبه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار
الغضب وقوي اضطرامها اعمت صاحبها واصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل يزيده الموعظة

غضبا

بلغ قبالا

غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفي نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب
فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى
الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم عينه لا يرى
بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوفه وحمي مستقره
وامتلا بالدخان جوانبه فكان فيه سراج ضعيف فانطفى وانمحى نوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع
فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى
ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما يقوى نار الغضب
فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما يقوى النار في الكهف فيتشقق وينهد
اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا
حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر
احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها
وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه
الغضب واصمه ومن اثر هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج
الافعال عن الترتيب والنظم واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق
وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء
من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما
قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس
الثمرة بالمثمر فهذا اثره في الجسد فاما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبيح الكلام
الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب
اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير
مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق
ثوب نفسه ويلطم نفسه وجهه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران او المدهوش
المتحير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما
يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب
عليها وقد يتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول الى متى هكذا وكيت

هذا مثل

ايضا الدابة

كان يجب طلب ما فلا حتى ربما رفسته دابة فيرفسها ويقابلها وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد
والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر وهتك الستر
والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة
مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء وصغر النفس والقماءة
وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم إن سعدا
لغيور وإني لأغير من سعد وإن الله لأغير مني وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح
الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة
في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خير
أمتي أحداؤها يعني في الدين وقد قال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله بل من فقد
الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم
وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن
الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي
وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الأمور أوساطها فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من
نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه
حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن
يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط
المستقيم وهو أرق من الشعر وأحد من السيف فإن عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله
تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة
فليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض
وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته

بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد
وظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير
وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقي الإنسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو
عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب

عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب م

فلا بد ان م

يتبع ذلك فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا قصد بمكروه غضب لا محالة إلا أن ما
يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام **القسم الأول** ما هو ضرورة في حق الكل وهو القوت
والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجراح فلا بد من أن يغضب وكذلك
إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي
هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها وعن غيظ على من يتعرض لها
القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فإن هذه
الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في
أنفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور
أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز
أن لا يغضب إذ يجوز أن يبصر بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فإنه
لا يحب وجودها ولو أحب لغضب بالضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري
كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب
إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا
يغضب إذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكارهه
فأكثرت غضبه وكلما كانت الإرادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص لأن الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجته وفي شهواته
ولا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة
ومخالطة قرناء السوء إلى أن يغضب لو قيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج
ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب
على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري **القسم الثالث** ما يكون ضروريا
في حق بعض الناس دون بعض كالكتاب مثلا للعالم فإنه مضطر إليه فيحبه فيغضب على
من يحرقه أو يغرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى
القوت إلا بها فإن ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا
يختلف بالأشخاص وإنما الضروري ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله من
أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن
كان بصيرا بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاث يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه

لا يخلو م

ظالم م

يكون م

وجودها م

بالحمام واللعب م

هذه اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة فيه لينعدم
غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه
الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم
والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن
نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان
لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان
ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به
وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل عن م
بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان
ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وان الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة
وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن القلب ولو كان منه م
للانسان كلب لا يحبه لا يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا
قد تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل
بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون يكون م
الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة
فليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد
والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على احد من خلقه اذ
يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب
على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت
والذبح من الله فيندفع الغضب لغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله تعالى ان يرى ولا م
ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله
فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد ولانه يرى ان الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير في الفصاد م
محال ولكن غلبة التوحيد انما تكون كالبرق الخاطف تغلب في احوال مختلفة ولا تدوم ويرجع القلب
الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم انما انا بشر اغضب كما يغضب

البشر

99

وزكاة تقربه بها اليك يوم القيمة صح

البشر فأيما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلاة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه
الا الحق واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا
اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال صلى الله عليه وسلم ما لك جاءك شيطانك
فقالت وما لك شيطان فقال بلى ولكن دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بالخير
فلم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه
كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى
ينتصر له فكان يغضب للحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من
غضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لابد له منها في دينه فهو غضب لله فلا يمكن الانفكاك
عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون
في القلب متسع للغضب باشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه
وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما
تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك الربيع بن خثيم فقال
يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها
فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك اكثر فكأنه كان مشغولا
بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه
الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة
لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة
الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقي الشيطان فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبي فقال ان كنت يلقيه م اليه م
صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا
لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون ذلك قد اثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به و
اشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فان اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان
الغضب عند فوات بعض المحاب فاذن يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او لغلبة التوحيد نظر م
او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله عز وجل يحب منه ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك
غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب

وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب المزايا من
القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف
الغضب بسببه ويهون دفعه والله سبحانه اعلم

بيان الاسباب المهيجة للغضب

وقد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسباب الغضب وقد
قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شي اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال في غضب الله تعالى
الغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية
والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة
والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا والاستهزاء
ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها
فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سيأتي في كتاب الكبر
والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس غيرك اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا
في الفضل اشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب اكبر الرذائل
وهي راسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس غيرك عبدك
من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات
الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفتها واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل التهزؤ
والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك سعادة الآخرة واما الزهو فتزيله بالتكرم
عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزا بك واما التعيير فتزيله بالحذر عن القول مر الجواب
القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة
بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة
من هذه الصفات يفتقر في علاجه الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى
معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة
حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه
الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث على الغضب عند اكثر الجهال
تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا

١٠٠

حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب من الاكابر في معرض المدح
بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب الى القلب بسببه وتسميته عزة
نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها محض
وآية انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمراة اسرع غضبا من الرجل
والصبي اسرع غضبا من الرجل والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل
القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته
الحبة حتى يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال
صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج
هذا الجاهل بان تتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك
منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن
الاتراك والاكراد والجهلة الذين لا عقل لهم ولا فضل والله الهادي والاغبياء ح

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجانه فعنده
يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه
بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور الاول ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل
كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم
عن التشفي والانتقام فينطفي غيظه قال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر على رجل فامر
بضربه فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول
خذ العفو وامر بالعرف وكان يتامل في الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير
التدبر فيه فتدبره وخلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرا قوله تعالى والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس فقال لغلامه خل عنه الثاني ان يخوف نفسه بعقاب
الله وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم
آمن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيامة احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب
يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطا عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك اي القصاص

في القيامة قبل. وما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها ارحم
المساكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه. الثالث أن
يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه
والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان
لا يخاف من الآخرة. وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا
ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون يحذر أن
يتشوش عليه في الدنيا فراغه للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه ٥
الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند غضبه بأن يتذكر صورة غيره في حال الغضب ويتفكر
في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة
الحليم الهادي التارك للغضب بالأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب
والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالأنبياء والعلماء لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء
إن كان قد بقي معه مسكة من عقل. الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام
ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد أن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك
على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في أعين الناس فليقل لنفسه ما أعجبك تأنفين
من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين
من أن تصغري عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله وذلك
يعظمه عند الله تعالى فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب
أن يكون هو القائم إذا نودي ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف
الإيمان ينبغي أن يكرره على قلبه. السادس أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان
الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله ويوشك أن
يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه. وأما العمل فأن يقول بلسانه أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغيظ وكان صلى الله عليه وسلم إذا غضبت
عائشة رضي الله عنها أخذ بأنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ
قلبي وأجرني من مضلات الفتن. فيستحب أن تقول ذلك فإن لم يزل ذلك فاجلس إن كنت
قائما واضطجع إن كنت جالسا واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك

واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسببها الحركة وقد قال صلى الله
عليه وسلم إن الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فإذا وجد
أحدكم من ذلك شيئا فإن كان قائما فليجلس وإن كان جالسا فلينم فإن لم يزل ذلك
فليتوضأ بالماء وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإنما الغضب من النار
(في الهامش: البارد أو ليغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء)
وفي رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما يطفأ النار بالماء
فإذا غضب أحدكم فليتوضأ. وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت فاسكت
وقال أبو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب أحدكم وهو قائم جلس وإذا غضب وهو
جالس اضطجع فيذهب غضبه. وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا إن الغضب
جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق
خده بالأرض فكان هذا إشارة إلى السجود وهو تمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب (في الهامش: وهو الوجه)
لتستشعر النفس الذل وتزايل العزة والزهو الذي هو سبب الغضب. وروي أن عمر رضي الله عنه
غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب
وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي أوليت قلت نعم قال فإذا غضبت فانظر
إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالقهما. وروي أن أبا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في
خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر بلغني عنك أنك عيرت اليوم
رجلا بأمه فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله (في الهامش: قال فانطلق وادرك صاحبكم)
صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود
إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائما فاقعد وإن كنت قاعدا فاتكئ وإن كنت متكئا
فاضطجع. وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث
صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال للأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني إذا سكن
بعض غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوما فأعطي الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا (في الهامش: وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه)
الغضب إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه
فأعطي الثانية فإذا فيها ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء ثم أعطي الثالثة فإذا فيها خذ (في الهامش: فذهب غيظه)
الناس بحق الله فإنه لا يصلحهم إلا ذلك أي لا تعطل الحدود. وغضب المهدي على رجل فقال شبيب بن
شبة لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله ٥

فضيلة كظم الغيظ

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وذكر ذلك في معرض المدح وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره
ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم اشدكم من غلب نفسه عند الغضب (وقال من ملك نفسه عند الغضب)
واحلمكم من عفى بعد القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان
يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة رضى وفي رواية امنا وايمانا وقال ابن عمر قال (ملاه الله قلبه)
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه
الله تعالى وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا
من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب الى الله تعالى
من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم
من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره في اي الحور شاء
الآثار قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله تعالى لم يفعل
ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك
بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم
ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا
الزهد واجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر رضي الله (عند الطمع)
عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال له رجل يا امير
المؤمنين الم تسمع قول الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال عمر صدقت
فكانما كانت نارا فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا
رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول ما
ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال اوصني يا عبد الله قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان
غضبت فامسك لسانك ويدك ٥

فضيلة الحلم

اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى
كظم الغيظ الا من هاج غضبه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة (غيظه)
صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ فان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال (العقل)

واستيلاء داعي قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم اولا وكظم الغيظ تكلفا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتخير الخير يعطه ومن يتوق
الشر يوقه واشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا
تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم واشار بهذا الى ان التكبر والتجبر هو الذي
يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغنني بالعلم
وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم
عمن جهل عليك وقال خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر (والتعطر)
وقال علي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم
وانه ليكتب جبارا ولا يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة
اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عليهم قال لئن كان كما
تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك وقال رجل من المسلمين
اللهم ما عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله
الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم
قالوا ومن ابو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان اذا اصبح يقول اللهم اني قد تصدقت اليوم بعرضي
على من ظلمني من عبادك وقيل في قوله ربانيين اي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابي رباح يمشون على (في قوله تعالى)
الارض هونا اي حلما وقال ابن ابي حبيب في قوله وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال
مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو (في قوله تعالى)
معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبع فيه العلم ولا يستحيى
فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم اولو الاحلام
والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي
انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج
من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم اقبل يمشي الى

(هامش: ابن مسعود واصبح ... [illegible] ... وقال النبي صلى الله عليه وسلم ...)

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله
ورسوله فقال وما هما بابي انت وامي قال الحلم والاناة فقال خلقان تخلقتهما او خلقان جبلت عليهما
فقال بل خلقان جبلك الله عليهما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي الفاحش السائل الملحف
وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله
تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا جمع الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير
فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن
اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا عفونا
واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين وقال الاشعث عن عمر رضي
الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك
وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة ربك فاذا
احسنت حمدت الله واذا اسات استغفرت الله وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه
بالوقار والحلم وقال اكثم بن صيفي دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء
ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم
لم يتركوك قالوا فكيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه ان اول
عوض الحليم عن حلمه ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل وقال معاوية لا يبلغ الرجل مبلغ الراي حتى
يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال
اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه
وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم هو
الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا يغفر الله لك وان كنت صادقا فيغفر الله لي وقال بعضهم
شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم علي فاستعبدني بها زمانا وقال معاوية لعرابة بن اوس بم
سدت قومك يا عرابة قال يا امير المؤمنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم
فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وسب رجل ابن عباس
فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس راسه واستحيى وعن الحسين بن علي انه سبه رجل فرمى اليه

يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله ورسوله قال ...

١٠٣

خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة الحلم واسقاط الاذى وتخليص
الرجل مما يبعده عن الله وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من
الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان
اتركه فاخشى ان يقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال من اساء
فاحسن اليه جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم
وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا
يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يامن ومن يتول الله يمتنع ومن لا يسال الله يفتقر
ومن لا يامن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء
فقال انت اذا اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت اليك حسناتي وقال بعض العلماء
الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك سبا يدخل
معك قبرك فقال معك يدخل لا معي ومر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال
لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة
لا يعرفون الا عند ثلاث لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا تعرف اخاك الا
عند حاجتك اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه الطعام فخرجت امراة الحكيم وكانت سيئة
الخلق فرفعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا
في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة وافسدت ما عليها فلم يغضب احدنا قال نعم قال
احسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عن الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم شفا من كل
الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب

وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب	وان كثرت منه علي الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلاثة	شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره	واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن	اجابته عرضي وان لام لائم
واما الذي مثلي فان زل او هفا	تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

بيان القسم الذي يحرم الاحتقار والسخرية

من الكلام اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة
ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا سائر المعاصي وانما القصاص
والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران
وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر
انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب
الملك وجاء الشيطان فلم اكن اجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب
فيه ونهيه صلى الله عليه وسلم عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي به والذي
يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني
هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا من بني امية ومثل قوله يا احمق وقال مطرف كل الناس
احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حمقا من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل
حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله عز وجل وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا
وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيء الخلق يا صفيق الوجه يا ثلابا للاعراض
وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما
فعلت واخزاك الله وانتقم منك واما النميمة وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي
انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال له سعد
مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان ياثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فيه فكيف يجوز ان يقوله
والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما روت
عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن اليه فاطمة فقالت يا رسول الله ارسلني ازواجك
يسالنك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نائم فقال يا بنية اتحبين ما احب فقالت
نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن واخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن الى
زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر
فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر ان ياذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فاذن لي فسببتها
حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في
الكلام وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال

المستبان

المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي
فهذا القدر هو الذي اباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا يبعد الرخصة
في هذا القدر ولكن الافضل تركه ... على اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب
والوقوف على ... فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف اولا ولكن يحقد على الدوام والناس
في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود
بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهذا هو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة
وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه
بتلك وقال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض
فهو شيطان وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني ادم خلقوا
على طبقات شتى منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب
بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان
الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال
غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متغيظا عليه فيكون متشفيا غيظه ومريحا
نفسه فيكون صاحب حظ فينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه وراى عمر رضي الله
عنه سكران فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع فقيل له يا امير المؤمنين لما شتمك
تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي
وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار
حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم
ذلك ويبقى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد
يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها
وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من افعال المنافقين وسياتي ذمه ان شاء الله الثاني ان
تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما اصابه من البلاء الثالث ان تهجره وتصارمه
وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له الا ...

وغيره

ان يتكلم فيه بما لا يحل له من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر السادس ان
يحاكيه استهزاء به بالسخرية منه السابع ايذاوه بالضرب وما يؤلم بدنه الثامن
ان يمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان
يحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله به ولكن
تستثقله بالباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق
والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له
او بترك الدعاء له والثناء عليه والتحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك
في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب
ولما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه ولكنه تكلم في واقعة الافك — رضي الله عنه
نزل قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم
فقال ابو بكر بلى نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى على ما كان عليه
فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو
مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين فللمحقود ثلاثة احوال عند القدرة
احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل
والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل الثالث ان يظلمه
بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين
والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان

فضيلة العفو اعلم ان العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرأ عنه
من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه قال تعالى خذ
العفو وامر بالعرف الآية وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقص مال فتصدقوا — صدقة من
ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى الا زاده الله بها عزا يوم القيامة
ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم
التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا
يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضي الله عنها

يرحمكم

ما رايت

قط — تعالى

ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك حرمة من محارم الله فاذا
انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن
ماثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني
فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب اي عبادك
اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل ابو الدرداء عن اعز الناس قال الذي يعفو
اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي
صلى الله عليه وسلم ان يجلس واراد ان ياخذ له بمظلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش
ثلاثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة
فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا
ذلك ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله
لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهيل
بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على بابي الكعبة والناس حوله
فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال
يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف
العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي اجره على الله قال العافون
عن الناس فقام كذا وكذا الفا فدخلوا بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا
الآية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل الجنة شاء وزوج — من اي ابواب

من اكثر العيش حيث ... من ادى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة قل هو الله احد عشر مرات وعفى
عن قاتله قال ابو بكر او احداهن يا رسول الله قال او احداهن الا ... وقال ابن ... التيمي
ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل بذنبه بتعرضه لمعصية الله تعالى
بالظلم وانه يطالب يوم القيمة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا
تيسر له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال
له انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان
ظللت تدعو على من ظلمك فان الله يقول ان آخر يدعو عليك بظلمه فان شئنا استجبنا لك واجبنا
عليك وان شئنا اخرتكما الى يوم القيمة فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على
ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن ان لا يفعل
وعن ابن عمر عن ابي بكر قال بلغنا ان الله تعالى يأمر مناديا يوم القيمة فينادي من كان له عند الله
شيء فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وروى ان هشام بن محمد
اتى النعمان بن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفى عنه والآخر اذنب ذنبا
صغيرا فعاقبه وقال

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها

وعن المبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر
قال فكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير
المؤمنين الا احدثك بحديث سمعته من الحسن قال وما هو قلت
سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر فيقوم مناد فيقول من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفى فقال والله لسمعته من
الحسن فقلت والله لسمعته من الحسن فقال خليا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال
حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا دخل على
هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين كان نبيا فقال لا ولكنه انما اعطي
ما اعطي باربع خصال كن فيه اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال

ليوم ضعيف ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال
بعضهم زيادة القدرة يذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه
امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين
قال الله عز وجل يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فنجادل الله جدالا ولا نتكلم كلاما قال
هشام بلى ويحك تكلم وروي ان سارقا دخل في خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه
من اعدائنا فقال استروا عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيمة وجلس ابن مسعود في السوق
يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها
لمعي فجعلوا يدعون على من اخذها اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان
حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جرأة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وقال الفضيل
ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت
دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي فقال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله
تعالى فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم
بن ايوب ليلا وهو على البصرة وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا مع
الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم
له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال
ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع
حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه قال الحكم
فانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي هذا لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له يسأله
العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد
الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث فقال
لرجاء بن حيوة ما ترى فقال ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو
فعفى عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت فاخذ اخا له فقال ان جئت باخيك
والا ضربت عنقك فقال ارايت ان جئتك بكتاب امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال
فانا اتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين موسى وابراهيم ثم قرأ ام لم ينبأ بما
في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته

عنه وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان **فضيلة الرفق**

اعلم ان الرفق محمود وضده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة انه من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا علية مالا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقي فان الله عز وجل اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم ايما وال ولي فرفق ولان رفق الله به يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون من يحرم على النار كل هين سهل لين قريب وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخرق شوم وقال صلى الله عليه وسلم التاني من الله والعجلة من الشيطان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين او ثلاثا ثم قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وعن عائشة انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شي الا زانه ولا ينزع من شي الا شانه **الآثار** بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايتها الرعية ان لنا عليكم حق النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية فيمن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المومن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شي الى شي مثل حلم

صعب

الى النبي صلى الله عليه وسلم

علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان يكون ذا اناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضررك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد وهكذا قال عمر بن عبد العزيز وروي ان عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في التاني فكتب اليه معاوية اما بعد فان التفهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطي او كاد ان يكون مخطيا وان كان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيئا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المومن وقاف متان وليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

القول في ذم الحسد وحقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته

بيان ذم الحسد اعلم ان الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب والحسد له من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تقاطعوا

المعالي

وانما

اصله

ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع الآن عليكم من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل
من الانصار تنطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال
النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما التوايم
قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل
عليه ثلاثا فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت قال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم
من الليل شيئا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير اني
لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مرت الثلاث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين
والدي غضب ولا هجر ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف
عملك فلم اركن تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك قال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعاني فقال
ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه
قال عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينجو منهن
احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت
فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلاث لا يعجز منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه
الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة
هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لا
تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام
بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال
صلى الله عليه وسلم سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس
في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تظهر
فيرحمه الله الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك وروي ان موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه تعالى راى في ظل بمكانه
العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه تعالى ان يخبره باسمه فلم
يخبره باسمه وقال احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا
يعق والديه وكان لا يمشي بالنميمة وقال زكريا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي
متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف

على

١٠٨

على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدوا ويقتتلوا وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج
بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله اعداء فقيل ومن ذلك
قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون
النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر بالكبر قبل الحساب
والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد الآثار قال الرساتيق
بعض السلف ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم ان يسجد له فحمله الحسد
على المعصية وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط
فقال اني اريد ان اعظك بشيء قال وما هو قال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله
به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية واياك والحرص فانه اخرج آدم من
الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها اهبطا منها الى آخر الآية
فأكل منها فاخرجه الله ثم قرأ قلنا اهبطوا الى آخر الآية واياك والحسد فانما قتل ابن آدم اخاه
حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق الآية واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت قال بكر بن
عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه
والمسيء سيكفيكه مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال
ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول يزعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح
ذلك عندك قال تدعوه اليك فاذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر
قال له انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه
ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه
مساويه فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك ريح الثوم فقال
الملك في نفسه ما ارى فلانا الا قد صدق قال وكان لا يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب
له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا
وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال
خط لي الملك بصلة فقال هبه لي قال هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال العامل في كتابك
ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى اراجع الى الملك فقال

ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك
كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعل الكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه فوهبته
فقال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما فعلت قال فلم وضعت يدك على انفك قال
لانه اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء
مساويه وقال ابن سيرين ما حسدت على الدنيا احدا ان كان من اهل الجنة ولئن كان من اهل النار
فكيف احسده على الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن فقال ما انساك
بني يعقوب قال نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال
ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معوية كل الناس اقدر على رضاه
الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل

• كل العداوة قد ترجى اماتتها • الا عداوة من عاداك من حسد •

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه
بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن ادم لم تحسد اخاك فان
كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من
مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة
الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا
ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا ٥ **بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه
ومراتبه ٥** اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان
احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة
وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها
ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة
حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين بدل الاخر ولا حجر في الاسامي بعد تفهم المعاني
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال
الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء
الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل
من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم تغمك نعمته ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها

وان هذه

وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه
ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك منه مضرة واليه
اشار القران بقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة و
الحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال تعالى ودوا لو تكفرون كما
كفروا فتكونون سواء وذكر الله حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم فقال قالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه
ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيهم له وساءهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه عنه
وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم اي لا تضيق به
صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما اتاهم
الله من فضله وقال كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات
بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وامرهم ان يتالفوا بالعلم
فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم
على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما
قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا
ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم
فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله
ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء
ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال
فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليست بحرام
بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل
المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسالاه ان يؤمرهما
على الصدقة قالا لعلي حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا
نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجك

مشتقة

فاطلاق المنافسة حقيقتها في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت
وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند
مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا
في اثنتين رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل اتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول
لو ان لي مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما
كان له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل اتاه الله مالا ينفقه في معاصي الله
عز وجل ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الوزر
سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون
له من النعمة مثل ما له فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم
يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة
والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه اذا لم يحب ذلك فيكون
راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم
والصدقات فالمنافسة فيها ارادته وكل ذلك يرجع الى اباحة مساواته واللحوق به في النعمة
وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والآخر
ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له
ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض فقد
الزهد والتوكل والرضى ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا
دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا
محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثله او بان يزول نعمة المحسود
فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت
النعمة عن المحسود كان ذلك اشفى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره
وهذا لا يكاد ينفك القلب عنه فاذا كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة
النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان يزعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه
ما يجده من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله

١١٠

ودينه ولعله المعني بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة
ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي اذا وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان
يكون الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا
محالة ترجيحا على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحرام فينبغي ان يحتاط فيه فانه موضع الخطر
وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقاربه من يحب مساواته ويكاد يجره
ذلك الى الحسد المذموم ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت
وظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل
الى مساواته اذا لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام
سواء كان في مقاصد الدين او في مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى وتكون
كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه واما
مراتبه فاربعة الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل اليه وهذا
غاية الخبث والثانية ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار
حسنة وامراة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك
النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي
لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان
في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية
اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه
مذموم قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه بمثل ذلك غير مذموم
وتمنيه عين ذلك هو مذموم ۵

بيان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله
تعالى وحب طاعته وان كان ذلك دنياويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم بها
وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة اسباب
العداوة . والتعزز . والكبر . والتعجب . والخوف من فوت المقاصد المحبوبة . وحب
الرياسة . وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة على غيره اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا
يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته
ساءته

كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها

اليه او لابد من تحيه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره
وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك
عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله
بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها
الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما
ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه
الاسباب السبب الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان
من آذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب
عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه
احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما اصابت
عدوه بلية فرح وظنها مكافأة من جهة الله تعالى له على بغضه وانها لاجله ومهما اصابته
نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه
الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية
التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته
فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله الكفار اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم
قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات
الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم ولذلك قال ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء
من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل
واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه السبب
الثاني التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله
ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه
وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته اولا
ان يترفع عليه ولكن لا يرضى بالترفع عليه السبب الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر
عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف
ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا

بعد [illegible] عليه

111

بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ له رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان
عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم
والانفة منهم السبب الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر
مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من
ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال
النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة
وتقدم عداوة او سبب اخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا
لولا انزل علينا الملائكة فقال تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود
واحد فان كل واحد منهما يحسد صاحبه في كل نعمة تكون له عونا في الانفراد بمقصوده ومن
هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة
في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين
لاستاذ واحد على نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل
المنزلة من قلبه للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة
واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على
طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراضه
السبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود
وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه
الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم
لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة
او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب
في هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى محض الرياسة
بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل

ولقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون
خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم السابع خبث النفس وشحها
بالخير لعباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن
حال عبد من عباد الله فيما انعم الله تعالى عليه يشق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس
وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل
بنعمة الله عز وجل على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخيل من يبخل
بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة
ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت
الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد في الجبلة لا عن سبب عارض تتعسر ازالته اذ
يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب
او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على
الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات
يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد والله اعلم

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم
يجتمع لهم جملة من هذه الاسباب ويتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع من
قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين
اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض واذا
خالف واحد صاحبه في غرض من الاغراض نفر عنه طبعه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد
ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى
اغراضه وتترادف جملة هذه الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين
فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة
تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية
اسباب الحسد ولذلك يرى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم

والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب اخر سوى الاجتماع في
الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر
مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد
البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف
بل البزاز ثم مزاحمة المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر
وكذلك الشجاع ثم يحسد الواعظ الواعظ ولا يحسد الفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على
مقصود واحد فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض
الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب
الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة
التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق
فيها وانما مثال الاخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت
ارضه وسماواته لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد
يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا ينقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة
العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم
معرفة الله عز وجل وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق ايضا فيما عند الله لان
اجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض
بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام
اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الاخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا قلب شخص بتعظيم عالم
انصرف عن تعظيم الاخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلا قلب بالفرح
بمعرفة الله لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره به وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل
في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان
يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده
مال يتملكه والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته
وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه
فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت

لذة

وانسه هو انسته فتكون لذتها وآدوفي مطالعة عجايب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى
اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته
يأمن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه فاكهة غير مقطوعة وهي مج
ولا ممنوعة بل قطوفها دانية وان كان يغمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض ض
زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فما يظن بهم عند
انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون
بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله التي لا
مزاحمة فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة براء من الحسد في الدنيا ولا اخرة جميعا بل الحسد والاخرة
من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان الرجيم
اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم على ما خص به من الاجتبا ولما دعي الى السجود استكبر عليه السلام مج
وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفا بالكل ولهذا
لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء
يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة الاقطار وافية
بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب
نعيما لا زحمة فيه ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته
وافعاله وعجايب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضا
فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فانت فيه
معذور كالعنين لا يشتاق الى لذة الجماع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه اللذات
تختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة تختص بادراكها الرجال الخمول مج
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذات غيرهم لان الشوق بعد
الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك
ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو
له قرين ۞ **بيان الدوا الذي ينفي مرض الحسد عن القلب** اعلم
ان الحسد من امراض العظيمة للقلوب ولا يداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم

النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود الدين و
في الدين والدنيا بل ينتفع به في الدين والدنيا ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق
عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى
وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك
واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية
على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت
اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وساير الكفار في محبتهم للمؤمنين
البلايا وزوال النعم وهو خبايث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها
كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال
في كمد وغم اذا اعداؤك لا يخليهم الله تعالى من نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم
بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محزونا متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه لك الاعداء
ولا تشتهي اعداؤك لك وقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك مع هذا
فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة
ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت
عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله من غير
نفع يناله مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة واما انه
لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله فذلك م
من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار
ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امراة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله تعالى
اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة
التي سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا
ولا يكون عليه اثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا
غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول
بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان
قال تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون اذ ما يريده

المحسود الكريم [...] بارادة الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن
المحسود بالحسد فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت ان تزول
النعم عن الخلق بحسدك ولا تزول بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من
حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم
تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدنيا الدين
فهو واضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول
والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه اعني انك تهدي
اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيمة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكانك
اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت
له نعمة الى نعمة واضفت الى نفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم
اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما
انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم
وقد فعلت في نفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان تطول حياتك
ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل

لا مات اعداؤك بل خلدوا ... حتى يروا فيك الذي يكمد

لا زلت محسودا على نعمة ... فانما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه
لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيه من ملازمة غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك
فاذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا
والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخالق والخلق شقيا في الحال
والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لا تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال
اعدائك اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدى عدوك لانه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع
والجاه والمال الذي اختص به عدوك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من
احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب
لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله سبحانه به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب

الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وقام اعرابي غبطهم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم متى الساعة فقال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من
كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت
قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشار الى ان اكثر بغيتهم كان حب
الله ورسوله قال انس فنحن نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم
ونرجوا ان نكون معهم قال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب
الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال رجل لعمر بن تبغضهم
عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون عالما
فكن متعلما فان لم تستطع فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان
الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب المحبة ثم لم يقنع به
حتى بغض اليك اخاك وحملك على الكراهة حتى اثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم
وتحب ان يخطئ في دين الله وينكشف خطؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا
يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم
وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف من الاذى م
عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة
حتى لا تكون من اهل واحد منها البتة فقد نفذ فيك حسد ابليس وما نفذ حسدك على عدوك
بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي سهما الى عدوه
ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غيظه فيعود ثانيا فيرمي اشد من
الاولى فيرجع الى عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه ويعود ثالثة فيعود على راسه فيشجه
وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حواليه يفرحون به
ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجر
العائد لم يفوت الا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت
بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله عز وجل والى النار فلان تذهب عينه في الدنيا خير له من ان يبقى له عين يدخل عز وجل م
بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود
فلم يزلها عنه ثم ازالها عن الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا

عنه تعرضنا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه وقلما
يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها بعين ما شمت به حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما تمنيت
لعثمان امرا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه
الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد في الفواحش في التشفي من الاعداء
وهو الداء الذي فيه هلكت الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف
وقلب حاضر انطفأت من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص
عيشه واما العمل النافع فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي
ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان
حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان حمله على كف الانعام عليه الزم
نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه
عاد الحاسد فاحبه وتولد منهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والمدح و
الثناء واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك
بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخرا ولا
يصده عن ذلك قول الشيطان لو تواضعت واثنيت حملك العدو على العجز او على النفاق
والخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا او طبعا
تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقلل مرغوبها وتعود القلب الى التآلف والتحاب وبه تستريح القلوب
من الم الحسد وغم التباغض فهذه ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدواء المر
فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء
والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضى
بقضاء الله وحب ما احبه الله وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها
تقتضي ذلك تريد ما لا يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما تريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق
الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول
ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة
ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من
الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص انقمع المادة فان لم ينقمع المادة لم يحصل بما ذكرنا الا تسكين

وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء المواد فانه ما دام محبا للجاه
فلا بد ان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته
ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده واما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك الا ان تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة
فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله ولا تزال
تدرك بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك في الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى بعثك
على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت اذا
حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك
كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله
تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء
وقال تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو كذب وغيبة وهو عمل صادر عن الحسد
وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال
منها بل هو معصية بينك وبين الله وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما
اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهية ما يترشح منه بالطبع من حب زوال
النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة
الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من
هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما يتيسر لهما من نعمة او تنصب
عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان
يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى
تفصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم
افعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى
طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك
بكراهته والزم قلبه هذه الحالة فقد ادى ما كلف به وقد ذهب ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه
لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى النبي

انه قال المتحبب الموس دلالة على سر مخرجه من الحسد الاتقى ولا يذكر نعمة عليه صاحب ما ذكرناه
من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو
وتلك الكراهة تمنعه من البغي ومن الايذاء فان جميع ما ذكر من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره
على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب من غير فعل هو في محل الرسالة المسلم بهو
حاسد فاذا كونه اثما هو بمجرد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد ذم الحسد ما ذكرناه
من ظواهر الايات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادة مساءة المسلم
واشتماله بالقلب عليه من غير كراهة وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلاثة احوال
احدها ان تحبّ مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه وتمقت نفسك عليه وتود
ان لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت
الاختيار اكثر منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك
او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة وهي بين الطرفين
ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير
انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك
عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا محل
الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم
بقدر قوة ذلك الحب وضعفه
والله سبحانه اعلم

تم كتاب الغضب والحقد والحسد بحمد الله تعالى وعونه يتلوه ان شاء الله تعالى
كتاب ذم الدنيا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم

... محمد مصطفى خان ابن عبد المنذر مولدا القادري ... عفا الله عنه في شهر ...
شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ست وخمسين وثمانمائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة
والسلام والحمد لله وحده
وحسبي الله وكفى

توفت ... بنت الشيخ ... زوجة الشيخ وفا
وذلك في جمادى الآخرة سنة واحد
اثنين وتسعين والف

توفي الى رحمه الله
ورضوانه القطب
الامجد الشيخ احمد
العصري سنه
١٠٦٧

توفي الى رحمه الله ورضوانه
شيخ العارفين شيخ
الشيخ طه في شهر الله
المحرم من شهور
سنه
١٠٥٢

توفي الى رحمة
الله ورضوانه
ولده الشيخ حسن
سنه
١٠٥١

توفي الى رحمه الله و
رضوانه الشيخ عبد
النبي العصري
سنه
١٠٦٣

توفي الى رحمه الله
ورضوانه شيخ الا
سلام ومفتي الانام
الشيخ ياسين ثاني عشر
من ذي الحجه من شهور
سنه
٩٨١

كما كان
في سابع شهر
شعبان توفي
شيخ الاسلام
الشيخ عبد
الرحمن
سنه
٩٩٦

توفي الى رحمه الله ورضوانه
شيخ الاسلام الشيخ
وفا العرضي في يوم الجمعه
في اوايل شهر الله المحرم
من شهور سنه
١٠٧١

توفي الى رحمة
الله ورضوانه
الشيخ ابراهيم
ابن الشيخ ياسين
سنه
١٠٣٥

توفي الى رحمه
الله ورضوانه
الشيخ عبد الوهاب
ابن الشيخ ياسين
سنه
١٠٤٣

توفي الى رحمه الله
ورضوانه الشيخ
ياسين ابن الشيخ
عبد الوهاب
سنه
١٠٣٦

توفي الى رحمه الله
ورضوانه الحاج
احمد ابن الشيخ
ابراهيم في يوم الا
ثنين ثاني عشر
من ربيع الاول
سنه
١٠٢١

توفي الى رحمه الله
ورضوانه الشيخ
محمد ابن الشيخ
عبد الرحمن في شهر
المحرم من شهور
سنه
١٠٦٤

توفي الى رحمه
الله ورضوانه
الشيخ بنيامين
سنه [illegible]
١٠٥٢

توفي الى رحمه
الله ورضوانه
مفتي الاسلام
الشيخ ابراهيم
ابن الحاج احمد

توفي الى رحمه الله ور
ضوانه الشيخ عبد
الرحمن ابن الشيخ
محمد واخيه عبد الله
سنه
١٠٤٣

توفي الى رحمه الله
ورضوانه الحاج
محمد ابن الشيخ
ابراهيم سنه
١٠٦١

توفي الى رحمه الله ورضوانه
الحاج نظام الدين
ابن الشيخ عبد الوهاب
في شهر الله المحرم من
شهور سنه
١٠٤٣

توفي الى رحمه الله
ورضوانه الشيخ شومان
الاذلبي سنه
١٠٤٠

توفي الى رحمه الله ورضوانه
الشيخ محمود ابن الشيخ محمد
عبد الرحمن ابن
الشيخ ياسين وذا الكائن يوم
الثلاثا ثاني اول شهر شعبان
من شهور [illegible]

توفي رحمه الله الحاج يوسف
بن الشيخ حسن الشيخ عبد الرحمن
بن الشيخ ياسين سنة
١٠٩٢

توفي الشيخ عبد الله المذنب
سنة الف ومايه من الهجرة

توفي الشيخ محمد مودب
الاطفال الراس سنه ١١٠١

للحداد شامي ٣ موسكو جاروس شامي ٣

عثمان سربجي
صوباسيه شامي
فرصه جنله
بزار جنله
جمهورية
شمايل ٢٧
فاطمة بنت
الحاج محمد فردوس ٣

محمد الجندي

اودعة في هذا الكتاب شهادة ان لا
له الا الله وان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

اودعه في هذا الكتاب شهادة ان
لا اله الا الله وان محمد عبد الله
ورسوله صلى الله عليه
وسلم وشرف
وعظم يا ارحم
الراحمين
امين
امين

اودعت في هذا
الكتاب شهادة
ان لا اله الا الله
وان محمد عبده ورسوله صلى
الله عليه وسلم
وصلى الله
رسول الله

٢٦ جمادى الاخر
١٢١٦